by E-Shaykh, pls make du'aa for us
حق المسلم على المسلم
سلسلة قصصيّة
(١-٦)
محمد موفق سليمة
لا تنسنا في الدعاء

by E-Shaykh, pls make du'aa for us

لَا تَنْسَنَا فِيْ الدُّعَاءِ


حقُّ المُسلِم على المُسلم
١


إذا لَقِيتَهُ فسَلِّمْ عَلَيْه


محمد موفق سليمة
دار الهدى
دَارُ الهُدَى للنَّشْرِ والتَّوزيع

عِنْدَما يَغِيبُ المعلِّمُ

لا نَعلَمُ السَّببَ !. فَلَقَـدْ غـابَ مُعَلِّمُنـا الـذي صَحِبْناهُ مُـدّةَ ستّةِ شهورٍ مَضتْ ، وها هـوذا اليومُ الثّالثُ يَمرُّ دونَ أنْ نرىٰ وَجْهَهُ ، ولعلَّ غِيابَهُ هذا قَدْ شَجَّعَنـا في تقليدِ حَـرَكـاتِهِ التي ارْتَسَمَ بعضُهـا في سُلوكِنا .. فهـذا عصامٌ يَخْرُجُ من الصَّفِّ ، ثم يعودُ حـامِـلاً بعضَ الـدَّفـاتـرِ ، فيقـرعُ الأَسماعَ بسُعـالٍ مُصْطَنَعٍ يُشْعِـرُنا بـهِ أنَّ الـدَّرْسَ قَدْ بَـدَأَ ، فَنَسْكُتُ مُسْتَجيبينَ دقيقةً أو أقلَّ مِنْ ذلك ، لا نَلْبَثُ بعدَها أنْ نعـودَ للضَّحِكِ والأنـاشيدِ ، فيصرُخُ بِنـا أكبَرُنـا قـائلاً : كفىٰ ما أَحْـدَثْتُمـوهُ اليومَ مِنْ ضَجَّـةٍ ، ولَنْ أَتَساهلَ مَعَكُمْ .. علىٰ كـلِّ مِنْكُمْ أنْ يَكْتُبَ جَدْولَ الضَّربِ ثلاثَ مرّاتٍ .. هيّا ..

جاءَ الفَرَجُ

كُنّا نُسَرُّ بهذا القَدْرِ مِنَ التَّقْليدِ ، لكنَّ قُلُوبَنا تَحْكي أُموراً وأشياءَ ؛ وكلُّ طالبٍ يَسْأَلُ نفسَهُ : إلىٰ متىٰ سَنَبْقَىٰ في هذا العَبَثِ واللَّعِبِ ؟ أليْسَ مِنَ اللاّئِقِ والواجِبِ أنْ يَخْطُوَ أحَدُنا نَحْوَ مَكْتَبِ المديرِ بَعْضَ الخُطُواتِ ، لِيَسْتَفْسِرَ مِنْهُ مرَّةً واحدةً عَنْ سَبَبِ غِيابِ معلِّمِنا ؟

الوقتُ يمُرُّ ثقيلاً ، وَمَا شَعَرْنا بِقِيمَةِ الوقتِ إلاّ بعدَ فَقْدِهِ .. ومن لُطْفِ اللهِ بِنا أنْ تسَرَّبَ الخبرُ أخيراً في كَلِماتٍ يَهْتِفُ بِها حامِلُها :

« مُعَلِّمٌ جديدٌ .. أنا رَأَيْتُهُ واللهِ العظيم .. ويَضَعُ علىٰ عَيْنَيْهِ نَظّارَتَيْنِ لَوْنُهما ... » لَمْ يَسْمَحْ لَهُ قُدومُ المعلِّمِ الجديدِ حَقّاً أن يُتِمَّ بِشارَتَه ، فعيونُنا قَدْ رأَتْهُ حَقّاً وعلىٰ عَيْنَيهِ نَظّارَتانِ جَميلَتانِ .

أُغْنِيةٌ مَوْروثَـةٌ!

وما إنْ دَخَلَ ، حَتّىٰ فاجَأَهُ عِدَّةُ تَلامِيذَ مِنْ أماكِنَ مُخْتَلِفَـةٍ في قاعَـةِ الصَّفِّ بِنِـداءاتٍ خاطِئَـةٍ تعوَّدْنَـا سَماعَهـا : (قِيـام .. قِيام .. قُـومـوا لِلْمُعَلِّم ..) .. اِبْتَسمَ بَدْورِه في وُجوهِنـا ، وَسادَ الجوَّ صَمْتٌ ، وفي نَفْسِ كُلٍّ مِنّـا وعلىٰ أَلْسِنَتِنـا كثيرٌ مِنَ الْكَـلامِ ، ثُمَّ قَطَعْنا الصَّمْتَ بتَرْحيبٍ وَرِثْناهُ منْذُ السَّنَةِ الدِّراسيَّةِ الأُوْلىٰ حَيْثُ خَـاطبْنـا ضَيْفَنـا الجديـدَ وَبِصَـوْتٍ مَمطوطٍ : (أهْلاً وَسَهْلاً يـا أستاذَنا المحْبوبَ) . وَلَمْ نَتَـوَقَّعْ أَنْ يُبْقِيَنَا واقِفينَ بَعْـدَ عِبارَةِ التَّرْحيبِ هـذِهِ ، فَقَدْ كانَ مَنْ سَبَقَهُ يأمُرُنا بالْقُعودِ مُشيراً بيَدِهِ ، لكنَّ ما سَمِعْناه اليومَ كانَ جَديداً : « أرْجوكُمْ أنْ لا تَقِفوا لِي ثانيةً ، أَنا أَقْبَلُ مِنْكُم هُدوءَكُمْ قَبْلَ أَنْ أدْخُلَ » .

اَلْكُنوزُ أَحْلىٰ

لَمْ نَفْهَمْ سَبَباً لِرَجـائِهِ ، وَلَمْ يَبْخَلْ عَلَيْنا بِتَيْسيرِ هـذا الفَهْمِ ، فَقَدْ رَأَيْنـاهُ وَنَحْنُ نَقْعُـدُ في أمـاكِنِنـا يُمْسِكُ بِـوَرَقَـةٍ جُمِعَتْ عليهـا أَسْماؤُنـا ، ثُمَّ يُنـادي صـالحاً ، وَيَسْـأَلُـهُ : يا صـالِحُ .. لماذا قُمْتُمْ لي ؟ وسرعـانَ مـا أجابَ صالِحٌ : لَقَدْ قُمْنا احتراماً لَكُمْ .. وهزَزْنا بَعْضَ الـرؤوسِ دَليلَ مُـوافَقَتِنا علىٰ هـذا الجوابِ ، فـابْتَسَمَ المعَلِّمُ الجديدُ ثانيةً في وُجوهِنا ، وقال : أَتُحِبّونَ رسولَ اللهِ مُحَمَّداً ﷺ ؟ فَـأَجَبْناهُ : كُلّنـا نُحِبُّهُ كثيراً .. فَتـابَعَ حَديثَهُ قائِلاً : هذا النَّبيُّ الكريمُ لَمْ يَرضَ مِنْ صحابَتِهِ أَنْ يَقومـوا لَهُ إذا دَخَلَ عَلَيْهِمْ ، وَهُـوَ يَطْلُبُ مِنّا أنْ لا نُحِبَّ قِيـامَ الآخَرِينَ لنـا، وَهٰذِهِ نَصيحَـةٌ حُلْوةٌ وكَنْـزٌ ثَمينٌ أَهْداناإِيّاهُ ، أَتُحِبُّون الحُصولَ علىٰ كَنْزٍ آخَرَ ؟

اِنْساقَتْ أَحاسِيسُنا كُلُّهـا نَحْوَ مُعَلِّمِنا وَنَحْنُ نَقُولُ لهُ : نَعَمْ يا أُستاذُ .. بِكُلِّ سرورٍ .

السَّلامُ عَلَيْكُم

نَظَـرَ في قـائِمَـةِ الأَسْماءِ مِنْ جَـديـدٍ ، وَقَـرَأَ اسمَ عَدْنــــانَ ، فَـوَقَفَ عَـدْنــــانُ لِيُصْغِيَ إلىٰ السّؤال : يـا عَدْنانُ .. أعِدْ عَلَيَّ ما قُلْتُموهُ عِندَ تَرْحِيبكُمْ بي.. أَعـادَ وَبِصَوْتٍ عَـالٍ : «أَهْـلاً وَسَهْـلاً يا أُسْتـاذَنـا المحْبوبَ ». وَما كانَ مِنَ المعَلِّمِ إلاّ أَنْ كتبَ العبارَةَ علىٰ السّبّـورةِ ، وَوَضَعَ خَطّـاً مُلَـوَّنـاً تَحْتَ الكَلِمَـةِ الأَخِيرَةِ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إلَيْنا لِيَقولَ : إذا كُنْتُمْ حَقّاً مِمَّنْ يُحِبّـونَ مُعَلِّمَهُم ، فأنـا أُحِبُّكم أَكْثَـرَ لَـوْ حَيَّيْتُمـوني بتَحيّةٍ أحْلىٰ وأعْظمَ عِنْدَ اللهِ ، وَذَلكَ بَعْدَ أنْ أَبْدَأَكُم التَّحيّـةَ أوّلاً .. أدْخُلُ عَلَيْكُمْ ، وَأُسَلِّـمُ وَأَنْتُمْ قُعـودٌ قـائِلاً : « السّــــلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَـركـــاتُـهُ » وَعِنْدهـا تكونُ أُذُنـايَ علىٰ اسْتِعْــدادٍ لِسَماعِ الـرَّدِّ الجَميلِ مِنْكُمْ ، وَهُنا قاطَعْناه علىٰ اسْتِحْياءٍ ، وقُلْنا : « وَعَلَيْكُمُ السّلامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ » .

في كُلِّ صلاةٍ

فَرِحَ لِتَصَرُّفِنا الحَسَنِ ، واسْتَبْشَر خَيْراً ، وقالَ : ما دُمْتُم تَحْفظُونَ هٰذا ، فلِماذا لَمْ تَسْتَقْبِلوني بِهِ !؟ إنَّهُ أَحَبُّ إلىٰ نَفْسي وإلىٰ رَسولِنا العَظيمِ الذي جَعَلَ السَّلامَ علىٰ هَذهِ الصّورةِ مِنْ صِفاتِ المُسْلمِ الحُلْوةِ.. وَلَعلَّنا لا نَبْخَلُ علىٰ هذا النَّبيِّ الكريمِ بالسّلامِ في كُلِّ صَلاةٍ ، أَلَيْسَ كَذلِكَ؟ أَشارَ إليَّ بإصبعِهِ قائِلاً: هاتِ أسْمِعْنا ماتقولُهُ في التَّشهُّدِ إنْ كُنْتَ تحْفَظُهُ .. فَقُلْتُ : أحْفَظُهُ وَأُرَدِّدُهُ في كُلِّ صَلاةٍ .. أُسَلِّمُ علىٰ رَسولِ الله ﷺ ، وَقَدْ عَلَّمَ الرَّسولُ هذا لِصَحابتِهِ الكرامِ ، فَكانَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَقولُ في قُعودِهِ : « السّلامُ عَليكَ أيُّها النَّبيُّ ورحمةُ اللهِ وَبرَكاتُهُ».

شَكَرَني المُعَلِّمُ علىٰ حُسْنِ إجابَتي ، وافْتَرَّ ثَغْرُهُ عنِ ابْتِسامةِ رِضا .

بِأَحْسَنَ مِنْها

ثُمَّ أَمْسَكَ بقطْعَةِ الحَكَكِ ، وَكَتَبَ خُـلاصَةً جَميلَةً كَجَمالِ خَطِّهِ : « الأُسْتاذُ المحْبـوبُ يُحِبُّ مِنْ طُلاّبِهِ أنْ يَحْفَظوا تَحِيَّةَ الإسْلامِ ، فإنْ بَـدَأَهُمْ بالسّلام وقالَ لَهُمْ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَـرَكاتُـهُ ، رَدّوا عَلَيْهِ التَّحِيّـــةَ قـــائِلينَ : وَعَلَيْكُـمُ السَّـــلامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ»، وَتَلا عَلَيْنـا الآيةَ القُـرآنيّةَ التي أَنْـزَلها اللهُ تعـالى في ردِّ التَّحِيَّةِ ، فَـزُرِعَتْ في صُدورِنـا قَبْلَ أَنْ يُـزَيِّنَ بها السّبّـورةَ: ﴿ **وإذا حُيِّيتُمْ بِتَحيَّـةٍ، فَحَيّـوا بِأَحْسَـنَ مِنْها، أَوْ رُدّوها، إِنَّ اللهَ كـانَ علىٰ كُلِّ شيءٍ حسيباً** ﴾ ، وَفَهِمْنا مِنْهـا أَنَّ الذي يُحيِّي أَخـاهُ بِما هُوَ أَحْسَنُ فَـأَجْـرُهُ أَعْظَمُ عِنْـدَ اللهِ ، فَلَـوْ قـالَ المُسْلِمُ لأخيهِ : السَّـلامُ عَلَيْكُمْ ، فَالـرَّدُّ الأَحْسَنُ : وَعَلَيْكُمُ السّلامُ ورحمةُ اللهِ وَبَـرَكاتُهُ » .

حَيِّنا ربَّنا بِالسَّلام

« وَمِنْ طريفِ الأَمْرِ أَنَّ هـذه التَّحيّةَ الحُلْوةَ تَرْتَبِطُ مَعَ اسْم دِينِنا ارتِباطاً مَتيناً . فَدِينُنا قَدْ سَمّاهُ اللهُ : (الإِسلامَ)، وَنَحْنُ قَدْ سَمّانا أَبُونا إبراهيمُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : (المُسْلِمينَ) ، وَرَسُولُنا مُحَمَّدٌ ﷺ سَمّىٰ التَّحِيّةَ بِالسَّلامِ.. وَلَوْ عَرَفْنا أَنَّ (السَّلامَ) اسمٌ مِنْ أَسْماءِ اللهِ تَعالىٰ لازْدادَ حُبُّنا لِهَذِهِ التَّحيّةِ وَتَمَسَّكْنا بها والْتَزَمْنا بِأَدائِها إِذا ما لَقي أَحَدُنا أَخاهُ ، أَوْ بِرَدِّها إِذا ما سَمِعَها مِنْ أَخٍ لَهُ . وَعِنْدَما يُحَيِّينا رَبُّنا بِاسْمٍ مِنْ أَسْمائِهِ ، فَكَأَنَّهُ يُحَبِّبُ إِلَيْنا أَنْ نَجْعَلَ مِنْهُ عُنْواناً لِتَحِيَّتِنا » . كانَتْ هَـذِهِ الكَلِماتُ آخِرَ ما سَمِعْناه وَوَعَيْناه بِقُلُوبِنا مِنْ حَديثِ المُعَلِّمِ في لِقائِهِ الأَوَّلِ مَعَنا .. فالجَرَسُ قَدْ كانَ حاجِزاً .

« .. أَفْشوا السَّلامَ بَيْنكُمْ »

خَرَجْنا إِلىٰ البـاحَةِ ، وما زالَتْ قُلُـوبُنامَشْدودَةً إلىٰ تلكَ الكَلِماتِ، لا يُطيقُ أحَـدُنـا مُغـادَرَةَ الصَّفِ ، فَالْكُنـوزُ ذاتُ بَرِيـقٍ ، والـدُّرَرُ قَدْ وُزِّعَتْ علىٰ غَيْرِ عـادَةٍ .. مـا أكْـرَمَكَ أَيُّها المُعَلِّـمُ !! وَمـا أَطْيَبَ نَصائِحَكَ ! . وَمـا إِنْ بَدَأَتِ الحِصّـةُ الجَدِيدَةُ حَتّىٰ ازدَحَمتْ أَمـامَ المُعَلِّمِ أَسْئِلَـةٌ لَمْ نكُنْ لِنَسْأَلَها لـولا أَنْ فَتَحَ المُعَلِّمُ لنا صَـدْرَهُ الرَّحْبَ ، وَكادَ كُلٌّ مِنّـا يَبُوحُ بِسُؤالِهِ خَوْفاً أَنْ لا يُساعِدَهُ زَمَنُ الحِصَّةِ المُـحَدَّدُ ..

أَلْفُ تَحِيَّةِ شُكْرٍ وحُبٍّ واحْتِرامٍ وَتَقْديرٍ لِكُلِّ قَلْبٍ يُهْدينا السّلامَ ، فَيَبْعثُ في نُفُوسِنا الأَمْنَ والطُّمَأْنينَةَ ، وصَدَقَ رَسولُ اللهِ ﷺ إِذْ قالَ: «**أَلا أَدُلُّكُمْ علىٰ شَيءٍ إِنْ فَعَلْتُمـوهُ تَحابَبْتُمْ ؟ أَفْشوا السَّـلامَ بَيْنكُمْ**» .. وَما أَعْظَمَهُ مِنْ سَبيلٍ لِلْمَحَبَّةِ ! .



وَلَـوْلا خَشْيَتُنـا مِنْ أَنْ يَضِيقَ المُعَلِّمُ ذَرْعاً بِـأَسْئِلَتِنـا ، لَجَعَلْنا هذا اليـومَ يومَ التَّحِيّةِ والسّلام ، فَقَـدْ تَعَلَّمْنا عَنِ السَّلامِ ما لَمْ نكُنْ نَعْلَمُ ، وَهَدانا اللهُ إلىٰ عَمَلِ الطَّيِّبِ مِنْ خُلُقِ الإسْلامِ العَظيمِ ..

عُدْتُ إلىٰ البَيْتِ ، وأَنـا مُمْتَلِئٌ فَخْراً بِما سَأَقُولُـهُ، وما إِنْ دَخَلْتُ حَتّىٰ حَيَّيْتُ والِدَتي وَجَدَّتي قائِلاً :السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبرَكاتُهُ ، فَـابْتَسَمَتْ أُمّي ابتِسامةً فيها نَصِيبٌ مِنَ الـدَّهْشَـةِ ، وطَبَعَتْ جـدَّتي علىٰ رَأْسي قُبْلَـةً مُفْعَمَـةً بِالْحَلاوةِ ، وَأَنـا أَسْمَعُ رَدَّهما : وَعَلَيْكُمُ السَّلامُ ورحمةُ اللهِ وَبرَكاتُهُ . وَكَمْ كانَتْ فَـرْحَةُ والدي عَظيمَةً عِنْدَما رَدَدْتُ عَلَيْهِ التَّحِيّةَ بأَحْسَنَ مِنْها ، فَزادَ أَنْ عَلَّمَني قائِلاً : وَجَميلٌ يا بُنَيَّ أَنْ يُسَلِّمَ المُسْلِمُ علىٰ نَفْسِـهِ في الصَّلاة وإِذا دَخَلَ بَيْتاً لَمْ يَجِدْ فِيهِ أَحَداً فَيَقـولَ : السَّلامُ عَلَيْنا وَعَلىٰ عِبادِ اللهِ الصّالحين» (فَلا تَنْسَ هٰذا ياحَبِيبي).

« .. فاشْكُروهُ »

وأَتْحَفَتْنـا أُمّي وهيَ تَضَعُ آخِـرَ صَحْنٍ علىٰ المائِدَةِ بِقَـوْلها: والسَّـلامُ الذي نُحَيِّي بـه رَسُـولَنـا الحبيبَ محمّداً ﷺ في صَلاتِنا يَـرُدُّه عَلَيْنا النّبيُّ الكريمُ وَهُوَ في قَبْرِه ، وَلَـوْ أَنَّكَ رافَقْتَ والِـدَكَ في زِيـارةٍ مِنْ زياراتِـهِ لِلْمَقْبَرَةِ ، فَسَوْفَ تَسْمَعُ مِنْهُ تَحِيَّـةً مُخَصَّصةً للأَمْواتِ، وَسَتُرَدِّدُها مَعَهُ بِصَوْتِكَ النّاعِمِ الجَميلِ..

كُنْتُ آكُلُ بِشهيَّـةٍ مَلْحـوظَـةٍ ، ولا أَدْري كَيْفَ أَشْكُرُ أَبي وَأُمّـي وجَدَّتي وَمُعَلِّمي عَلىٰ ما حَمَلْتُـهُ مِنْ طاقاتِ وَرْدِهِمْ وَأَزاهِيرِهِمُ العَطِرةِ .. وَيَجْدُرُ بي أَوَّلاً أَنْ أَشْكُرَ صاحِبَ المعْروفِ الكبيرِ رَسولَ اللهِ ﷺ ، وأُرَدِّدَ مَعَ أصواتِكُمُ النَّـديَّةِ نَشِيدَ السَّـلام فَهُوَ يَفْتَحُ الشَّهِيَّةَ لأُخُوَّةٍ ومَحَبّةٍ أكْثَرَ حَلاوةً ..

أَفْشوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ *

أَهْـديْكُمْ هَـدِيَّـهْ طَيِّبَةً نَدِيَّـهْ
إِنْ أَحَداً لَقِيتُـمْ فَأَحْسِـنوا التَّحِيَّهْ
تَحِيَّةُ الإِسْـلامِ تَبْدَأُ بِالسَّـلامِ
وَرَدُّها تَكْرِيـمٌ أَنْعِمْ بِذا الإِكْـرامِ
اللهُ في القُـرآنِ يَأْمُـرُ بالإِحْسـانِ
وَمِنْ شَـذا العِرْفـانِ تَحِيَّةُ الإِيمـانِ
سَلامُنـا مُعَطَّـرُ إِفْشاؤُهُ سَيُثْمِـرُ
مَحَبَّةً بَـيْنَ الـوَرىٰ وَمَنْ لِذاكَ يُنْكِـرُ
يا إِخْوَتي سَـلامُنا مَنـارَةٌ لروْضِنـا
فَاسْتَبْشِـروا بِغَرْسِهِ يُـدْخِلْكُمُ دارَ الهنـا

* * *

* « قـالَ رسـولُ اللهِ ﷺ: لا تَدْخلُـوا الجنّـةَ حتّىٰ تُؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتّىٰ تحابّوا ، ألا أدلُّكم علىٰ شيءٍ إنْ فعلْتُموه تحاببْتُم ، أفشوا السّلامَ بينكمْ » .

وفي خِتـامِ حِكايـةِ السَّـلامِ ، ها أَنَـذا أُودِّعُكُمْ قائِلاً:

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ .

فَوَدِّعوني بِرَدٍّ حَبيبٍ :

« وَعَلَيْكُمُ السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَـرَكاتُهُ ...

وسنحفظُ مَعاً حَدِيثَ رَسول اللهِ ﷺ :

« إِنَّ أَوْلىٰ النّاسِ بِاللهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلامِ » .

* * * *

صدر حديثاً عن


دَارُ الهُدَى لِلنّشرِ وَالتّوزيع

لأحبّتنا الناشئة :

السلسلة القصصية :






حقُّ المُسلِمِ على المُسلِم
٢
وإذا دعاكَ فأجِبْهُ
محمد موفق سليمة
دار الهدى
دار الهدى للنشر والتوزيع





دَارُ الهُدَىٰ لِلنَّشرِ وَالتَّوزيع

الرياض: طريق صلاح الدين الأيوبي - غرب إدارة مكافحة المخدرات
هاتف: ٤٧٩٤٥١٧ - ٤٧٧٧٥٤٤ - ناسوخ: ٤٧٧٦١٣٩
ص.ب: ٢٥٥٩٠ - الرياض: ١١٤٧٦



أَفْـراحُ القَــرْيَـةِ تَـرْقُـصُ عَلىٰ كُلِّ لِسـانٍ ، وَمَهْما حَدَّثْتُكُمْ عَنْ قَرْيَتِنا بَعْدَ مَواسِمِ الحَصادِ ، فَلَنْ أَفِيَها حَقَّها مِــنَ الحُبِّ والبَهْجَـةِ .. أُحِبُّها أَكْثَـرَ في هَذِهِ اللَّيالي الحُلْوةِ ، التي تَعُمُّ فِيهـا الفَرْحَةُ كَلَّ البَساتِينِ والحُقُولِ وأَكْوامِ القَمْحِ والشَّعِيرِ ..

أُحِبُّها ، وأُحِبُّ أَنْ أَحْكيَ حِكاياتِ الأَعْراسِ فِيها حَتّىٰ يُشارِكَني الكَوْنُ كُلُّهُ فَرْحَتي وحُبّي .. فَعشْرونَ يَوْماً مَـرَّتْ ، وأَنا أَنْتَظِرُ بدْءَ حَفَـلاتِ الزّواجِ ، حتّىٰ أَنْعَمَ بِرُؤْيَةِ النُّورِ يَسْكُنُ الـوُجُوهَ والأَعْيُنَ ، ويُرَفْرِفُ علىٰ قُلُـوبِ المُحِبِّين مِنْ شَبابِ القَـرْيَةِ وفَتَيـاتِها .. فـاليومَ لا حُجَّـةَ لآباءِ الفتيـاتِ في تَأْخِيرِ حَفَـلاتِ الزّواجِ وفَتْحِ البُيوتِ الجَدِيدَةِ ..

سُبحانَ الرّازِقِ الكَرِيمِ

وإنْ كانَ بَعْضُ الآباءِ يَنْتَظِرونَ الْحَصادَ وغِلالَهُ، فَهَا هُوَ ذا الموسِمُ قَدِ انْتَهىٰ ، وجُمِعَتِ الغِلالُ علىٰ أَنغامِ القَمَرِ وأَلْحانِ الأهازِيجِ الحُلْوَةِ التي وَرِثْناها مَعَ حَنانِ السَّنابلِ .. وَما أَحْلىٰ مَهْرَ العَروسِ يَتَراءَىٰ لِكُلِّ شابٍّ في خَيالِ سُنبُلَةٍ وبُرْعُمِ وردٍ ! .

وَجَمِيلٌ أَنْ يَرْتاحَ الشّابُّ مَعَ عَرُوسِهِ بَعْدَ عَمَلٍ مُجْهِدٍ وشاقٍّ في الحُقُولِ لأيامٍ مُسْتَمِرّةٍ خَلَتْ .. ولِمَ لا يأْنَسُ كُلٌّ مِنْهُما بصاحِبِهِ ، وَيَبْدأُ مَعَهُ حَياةً جَدِيدَةً في بيتٍ جديدٍ ، وقد تَعِبَ قَلْبُه في انتِظارِ تحقيقِ الحلُمِ العَذْبِ؟

اللّهمَّ كَما بارَكْتَ فيما رَزَقْتَ حُقُولَنا وبُيوتَ قَرْيَتِنا ، فَبارِكْ لِكُلِّ عَرُوسٍ بِعَرُوسِهِ .. إِنَّك رازِقُ الحُبِّ والخَيْرِ والبَرَكةِ .

« مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ.. »

ها هو ذا بَيْتُ المُخْتارِ يَشْهَـدُ كُلَّ يومٍ العَدِيدَ مِنْ اجْتِماعاتٍ سَرِيعَةٍ ، يَتِمُّ فِيهـا التَّفاهُمُ بَيْنَ الأَطْرافِ التي اجْتَمَعَتْ علىٰ تَحْدِيـدِ أَيّامِ الـزِّفـافِ وَمَواعِيـدِ إِقامَةِ الحَفَلاتِ ..

وإِنْ كُنْتُ أَنْسىٰ فَلَـنْ أَنْسَىٰ حَفْلَـةَ ابنِ العمِّ أبي جابِـرٍ، حَيْثُ عَزَمَ العَمُّ الكرِيمُ أَنْ لا يُـؤَجِّلَ عُرْسَ ابنِهِ الأَكْبرِ (جابِرٍ) أَكْثَرَ مِنْ هذِهِ السِّنينَ التي مَرَّتْ.

وَمَهْما كانَتْ أَسبـابُ التَّأْخِيرِ ، فَـالْكُلُّ يَعْرِفُ أَنَّ ابْنَةَ المخْتارِ لَنْ تَحْظىٰ بِزَوْجٍ أَفْضَلَ مِنْ جابِرٍ ..

والبُيُوتُ كُلُّهـا تَشْهَدُ لِجابرٍ بالْخُلُقِ القَـوِيمِ ، فَهُوَ مِنْ أَصْلٍ طَيِّبٍ ، وَوالِـدُهُ الْعَمُّ (حَمْدانُ) لَمْ يَدَّخِـرْ جُهْداً في حُسْنِ تَرْبِيَةِ أَوْلادِهِ كُلِّهِمْ ..

وفي ذَلِكَ قُدْوةٌ ..

والْمـــُخْتارُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَ قَطُّ إذْ أَصَرَّ أَنَّ ابنتَــهُ لجابرٍ دونَ شَبـابِ القَرْيَةِ الّـذينَ تَقَدَّمـوا لِخطْبَتِها ، وَلَقَـدْ أَحْسَنَ الاخْتِيـارَ ، وَرَضِي مِـنْ جـابـرٍ خُلُقَـهُ ودِينَهُ، وها هوَ ذا يُعْلِنُ لِلْجِيرانِ وأَهْلِ القَرْيَةِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَنْعَـمَ عَلَيْهِ بِصِهْرٍ كَـرِيمٍ وعلىٰ ابْنَتِهِ بِـزَوْجٍ شَهْمٍ ذي خُلُقٍ عَظِيمٍ .. وأَنَّ الأَيّـامَ القـادِمَةَ سَتَشْهَـدُ في بَيْتِ العمِّ حَمْدانَ نُشُـوءَ أُسْرَةٍ جَدِيْـدَةٍ في القَرْيَـةِ .. وَسَتَكُـونُ ساحَـةُ القَرْيَـةِ الكَبِيرةِ في نهايَةِ الأسْبـوعِ مُهَيَّأَةً لِكُلِّ الأَفْراحِ والأَعْراسِ .

ودَعَتْ مَعَــهُ الطُّيُــورُ في السَّماءِ ، والقُلُــوبُ في الأَرْضِ أَحلَىٰ الـدُّعاءِ إلىٰ اللهِ تعـالىٰ وهُـوَ يُهَنِّئ كُلَّ زَوْجَيْنِ، وَيُبارِكُ لِكُلِّ عَروسَيْنِ ..

وحَياءُ القَمَرِ تَحِيَّةٌ

.. وَمَرَّتِ الدَّقائِقُ والسّاعاتُ حُلْوَةً تُوزِّعُ البُشْرىٰ والابْتِساماتِ والغِبْطةَ علىٰ الـوجوهِ .. وَخَرَجَ النّاسُ مِنْ صَلاةِ الجُمُعَةِ ، وكُلٌّ مِنْهُمْ يَحْمِلُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ قَلْباً شَغُـوْفاً بِـرُؤْيةِ عُـرْسِ المساءِ في السّـاحةِ المجـاوِرَةِ لِلْمَسْجِدِ ..

وَعِنْدَ الغُرُوبِ .. بَـدَأَ نورُ القَمَرِ يَتَسَرَّبُ مِنْ وَراءِ الأُفُقِ الشَّرْقِيِّ مُشْفِقـاً خَجِلاً ، فـوَجْهُ العَـروسِ قَدْ جَعَلَهُ يَتَأَخَّـرُ قَلِيلاً ، ونورُ الفتاةِ ذاتِ الـدِّينِ يَتَأَلَّقُ فـوقَ الأَقْمارِ والنُّجـوم .. وإِنْ كانَ القَمَـرُ لا يَظْهَـرُ بَدْراً إلا في مُنْتَصَفِ كُلِّ شَهْرٍ ، فَإِنَّ جابِراً قَدْ حَظِيَ ببـدرٍ لا يَغِيبُ ، يَفيضُ أُنْساً ونـوراً ، وبقَلْبٍ يَحْفَظُ كِتابَ اللهِ وَكثِيراً مِنْ حَديثِ رَسُولِهِ ﷺ، وَلَنْ يَبْخَلَ علىٰ جابِرٍ في أَنْ يَحْفَظَ لَهُ فَرْحَتَهُ وابْتِسامَتَهُ وَعَطاءَهُ .

«بارَكَ اللهُ لَكُما..»

وَما أَحْلىٰ أَيْدي الصِّغارِ والكِبارِ ، وَهِيَ تَحْمِلُ مَعَ ابْتِسامَةِ الثغورِ والشِّفاهِ أَجْمَلَ الهَدايا تُقَدِّمُها لِلْعَروسَيْنِ ، ومَنْ كان لا يَمْلِكُ في يَدَيْهِ هَدِيّةً لَهُما ، أَغْدَقَ علىٰ لِسانِهِ عباراتِ الثَّناءِ وأَدْعِيَةَ المُبارَكَةِ والتَّهْنِئَةِ .

وَكانَ الزَّوْجُ الشّابُّ يَقِفُ إلىٰ جانِبِ والِدِهِ ، يَسْتَقْبِلُ كُلَّ مَنْ جاءَ إلىٰ السّاحَةِ الكَبيرَةِ المُزدانَةِ ، ويُوَزِّعُ تَرْحيبَهُ علىٰ كُلِّ الأَحْبابِ ، ويَتَمَنّىٰ لِكُلِّ مَنْ هَنَّؤوهُ أَيّاماً سَعِيدَةً لأَبْنائِهِم وَذَوِيهِمْ .

وَهُناكَ مِنَ البَيْتِ القَريبِ ، كُنْتَ تَسْمَعُ زَغارِيدَ الفَرْحَةِ تُطْلِقُها جُمُوعُ النِّساءِ ، وكَأَنَّ كُلاً مِنْهُنَّ تُنادي العَروُسَ أَنْ تَسْتَعِدَّ لِتُزَفَّ إلىٰ بَيْتِها الجَدِيدِ ، وَزَوجِها الحَبيبِ ..

البِشْرُ لِلْجَمِيعِ

وقَبْلَ انتهاءِ العُرسِ ، وَقَفَ جابِرٌ وَسَطَ المُحْتَفِلِينَ وَقَدْ أَشْرَقَتْ مَعَ إِشراقَةِ مُحَيّاهُ كُلُّ الأَفْئِدَةِ ، واسْتَأْذَنَ مِنَ الحاضِرينَ كلِّهِمْ أَنْ يُعيروهُ أَسْماعَهُمْ ، وَسُرْعانَ ما انْجَذَبَتْ نَحْوَهُ الآذانُ مُصْغِيَةً : « نيابةً عَنْ والدي ـ أطالَ اللهُ في عُمُرِهِ ـ وَعَنْ مُخْتارِنا ـ أَكْرَمَهُ اللهُ ـ أَشْكُرُ كُلَّ مَنْ جاءَ إِلىٰ هَذهِ السّاحَةِ الحبيبَةِ ، وَشارَكَنا يَومَ الفَرْحَةِ ، وَأُحِبُّ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ أَنْ لا تَبْخَلوا عليّ غَداً في الاسْتِجابَةِ لِدَعْوَةِ الغَداءِ .. والدَّعْوةُ لَكُمْ جَمِيعاً صِغاراً وكِباراً .

وَفاجَأَنا المُخْتارُ بَعْدَ دَعْوَةِ جابِرٍ بِنِداءٍ آخَرَ قالَ فيهِ : «وأَنا أَدْعُو إِلىٰ بَيْتي كُلَّ نِساءِ القَرْيَةِ وَبَناتِها لِيُشارِكْنَ ابْنَتِي في طَعامِ الغَدَاءِ غداً إِنْ شاءَ اللهُ تعالى ، وَبُورِكَ كُلُّ مَنْ يُلبِّي الدَّعْوَةَ » .

أَسْرِعي أَيَّتُها الوَلِيمَةُ

.. وَلَمّا كُنْتُ مِنَ المَدْعُوِّين علىٰ الرّغم مِنْ حَداثَةِ سِنّي، فَقَدْ كِدْتُ أَطِيرُ مِنَ الفَرْحَةِ التي غَمَرَتْ جَوانِحي وَنَفْسِي، وَسَأَلْتُ والِدي عِدّةَ مَرّاتٍ : أَصَحِيحٌ ما سَمِعَتْهُ أُذُناي يا أبي؟ فَيَهُزُّ رَأْسَهُ، وَيَرْبِتُ علىٰ كَتِفي ، وَيَقولُ: « جابِرٌ يُحِبُّ الصِّغارَ أَيْضاً ، وَلَنْ أَنْسىٰ غداً أَنْ أَصْحَبَكَ مَعِي طالما أَنَّ الدَّعْوَةَ قَدْ وُجِّهَتْ إليْكَ » .

وَأَخَذتُ أَنْظُرُ إِلىٰ نَفْسي في المِرْآةِ ، وَأَقِفُ علىٰ رُؤُوْسِ أَصابِعي تارَةً لأَرىٰ طولي يَزْدادُ كالْكِبارِ ، أَوْ أَرْفَعُ يَدي إِلىٰ فَمِي لآكُلَ كَما يَأْكُلُ النّاسُ في الحَفَلاتِ.. ها أَنَذا أَيَّتُها المِرْآةُ قَدْ غَدَوْتُ كبيراً ، وَسَأَجْلِسُ إِلىٰ مائِدةٍ كبيرةٍ عامرَةٍ بِأَلَذِّ الطَّعام ..

سَتَكُونُ قَصْعَةَ طَعامٍ ساخِنٍ وشَهِيٍّ .. أَسْرِعي أَيّتُها الْوَلِيمَةُ فَأَنا مِنَ المَدعُوّينَ ..

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ

وفي مَوْعِدِ الوَلِيمَـةِ ، خَرَجَتْ أُمّي مَعَ أَخَواتي إِلىٰ بَيْتِ المُخْتارِ ، بَيْنَما انْطَلَقْتُ مَعَ والدي نَحْـوَ ساحَةِ الاحْتِفـالاتِ .. وَهُناكَ لَمْ يَكُنْ جـابِـرٌ والعَمُّ حَمْدانُ والمُخْتارُ يَدَّخِرونَ جُهْداً في إِظْهارِ فَرْحَتِهِمْ ..

بَعْضُ المَدْعُوّينَ أَخَـذَ يُساعِدُ أَصْحابَ الـوَلِيمَةِ في إِحْضارِ الصُّحونِ والملاعِقِ وما يَلْزَمُ مِنْ كُؤوسِ الماءِ وقِطَعِ الثَّلْجِ وغَيْرِ ذٰلِكَ .. وَمـا هِيَ إِلاّ دَقـائِقُ حَتّىٰ مُـدَّ خُوانٌ كَبيرٌ يَتَّسِعُ لِعَشْرِ قَصَعـاتٍ واسِعَةٍ مَرّةً واحِـدَةً ، وَإِنّي لأَراهُ فَرِحـاً مِثْلي ، لأَنَّهُ سَيَجْمَعُ حَوْلَهُ أَكْبَرَ عَدَدٍ مِنْ أَبْنـاءِ القَرْيَةِ ، كَيْفَ لا وهي أَكْبَرُ وَلِيمَةٍ نَحْضُرُها، بَلْ هي أَوَّلُ وَلِيمَةٍ يَأْتي إِلَيْها الصِّغارُ ، وَقَدْ بَقِيَـتْ في نَظَرِنا الـوَلِيمَةَ الكُبْرىٰ دونَ مُنـافِسٍ ..

جَبَرَ اللهُ خاطِرَكَ يا جابِرُ ، وأَكْرَمَكَ كَما أَكْرَمْتَنا .

سُنَّتانِ مَعاً ..

وأَحَبَّ العَمُّ حَمدانُ أَنْ يُتْحِفَنـا بِكَلِماتِ تَـرْحِيبٍ مَمْلُـوءَةٍ بِالْحُبِّ ، وَيَجْعَلَ مِنْ حَـدِيثِهِ المُخْتَصَرِ طَبَقـاً مِنَ المُشَهِّيـاتِ يَفْتَحُ نُفُـوسَنـا لِلطَّعـامِ المُنْتَظَـرِ .. وَأَعْقَبَـهُ إِمامُ المَسْجِـدِ بِكَلِمَةِ تَهْنِئَـةٍ وَدُعـاءٍ مُبارَكَـةٍ وَتَحِيَّةِ خِتامٍ قالَ فِيها :

« وَإِنَّنا إِذْ أَتَيْنا إِلىٰ هٰذهِ الوَلِيمَـةِ ، قَدْ حَقَّقْنا مَزِيداً مِنَ الفَـرْحَـةِ في أَرْجاءِ القَـرْيَـةِ ، ولا عَجَبَ إِنْ لَبَّىٰ الصِّغارُ هٰذِهِ الدَّعْوَةَ ، فَهُمْ أَبْناؤُنا وَحَفَدَتُنا ، وَيُحِبّونَ مِثْلَنا تَطْبِيقَ سُنَّةِ رَسُولِهِمْ وَرَسُولِنا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّـلامِ ، حَيْثُ عَلَّمَنا هَـذا النَّبيُّ الكَرِيمُ أَنْ نُلَبِّيَ دَعْـوَةَ أَخِينـا المُسْلِـمِ ، وَإِنْ كـانَ العَـرُوسُ الشّابُّ قَدْ دَعانا إِلىٰ سُنَّةٍ نَبَوِيَّةٍ بِصُنْعِ وَلِيمَتِهِ ، فَمِنَ السُّنَّةِ أَنْ نُلَبِّيَ دَعْوَتَهُ كَما صَنَعْنا » .

« أَوْلِمْ وَلَوْ بِشاةٍ »

.. أَحْسَسْتُ عِنْدَ سماعِ عِباراتِ التَّرْحِيبِ والدُّعاءِ أَنَّ الدُّنْيا كُلَّها لَمْ تَعُدْ تَتَّسِعُ لي مِنْ شِدَّةِ الفَرْحَةِ ، فَأَنا فَخُورٌ بِتَطْبِيقِ تَعالِيمِ المُصْطَفىٰ صاحِبِ الخُلُقِ العَظِيْمِ عَلَيْهِ أَطْيَبُ الصَّلاةِ والتَّسْلِيم ، وَما أَكْرَمَ رَسُولَنا إِذْ كانَ يَصْنَعُ لِصَحابَتِهِ طَعاماً في حَفَلاتِ عُرْسِهِ ، وأَعْراسِ بَناتِهِ ، وَمُناسَباتِ الفَرَحِ عِنْدَهُ كُلَّما وُلِدَ لَهُ مولودٌ في بَيْتِهِ أَوْ بَيْتِ ابْنَةٍ لَهُ .. ويُحِبُّ إِلىٰ صَحابَتِهِ أَنْ يُولِمَ أَحَدُهُم بِما يَسْتَطِيعُهُ في حَفْلَةِ عُرْسِهِ ، وَبِما يُؤْنِسُ أَفْراحَنا وَحَياتَنا واجْتِماعاتِنا .. وإِنَّهُ لَخَيْرُ قُدْوَةٍ إِذْ يُلَبِّي مَعَ بَعْضِ صَحابَتِهِ دَعْوَةً تَأْتِيهِ مِنْ شابٍّ أَقْبَلَ علىٰ زَواجٍ ؛ أَوْ أَبٍ سَعِدَ بِرُؤْيَةِ فَلْذَةِ كَبِدِهِ يَدِبُّ علىٰ الأَرْضِ . وَلَنْ نَتَأَخَّرَ يا جابِرُ إِنْ دَعَوْتَنا عِنْدَما يَرْزُقُكَ اللهُ طِفْلاً جَمِيلاً ..

إِحْياءُ السُّنَّةِ حَياةٌ

.. وَكَمْ كُنْتُ أَتَمَنّىٰ لَوْ أَكْبَرُ سَرِيعاً حَتّىٰ أَمُدَّ خُوانَ الوَلائِمِ مِنْ جَدِيدٍ ، وَأَدْعُـوَ كُلَّ مَنْ قَرَأَ حِكايَتي مَعَ وَلِيمَـةِ جابِـرٍ ، فَـادْعُـوا اللهَ لي بابْنَـةِ الحلالِ ، وأَنْ يَرْزُقَني اللهُ عَـروساً جَمِيلَـةً في خُلُقِها ، تَكُـونُ مِفْتاحَ خَيْرٍ كَبِيرٍ وَوَلِيمَـةٍ كَبِيْرةٍ ، أَدْعُـو إِلَيْهـا كُلَّ حَبِيبٍ وَصَدِيقٍ .

وَمِنْ حَقّي عَلىٰ كُـلِّ المُحِبّينَ أَنْ يُلَبّـوا دَعْـوتي ، حَتّىٰ يَحْفلـوا بِطعـامٍ شَهِيٍّ لِلْعَقْلِ والـرّوحِ والْجِسْمِ مَعاً ، وَلَنْ تَنْسَوا وأَنْتُمْ تَمْضَغُـونَ اللحْمَ اللذِيذَ ، أَنَّ تَعـالِيمَ رَسولِنـا أَطْيَبُ وَأَشْهىٰ وَأَكْثَـرُ فائِدَةً لنـا في أُمـورِ حَيـاتِنا كُلِّهـا .. اللهمَّ أَعِنّا علىٰ إِحْيـاءِ سُنَنِ نَبِيِّكَ صِغاراً وكِباراً . .

وَلِلإنْشادِ وَلِيمَةٌ

وجابِـــرٌ دَعــــانا   وَبِشْـــرُه حَيَّانــا

في دَعْـــوَةِ الكِبــارِ   وَمَعْشَـــرِ الصِّغارِ

إلـــىٰ وَلِيمَةِ الهَنـــا   في ذِكْرِها كُـــلُّ المُنىٰ

حَضَرْتُهــــا مَسْــرورا   وَزِدْتُهـــا سُـــرورا

إذْ جِئْتُهـــا مُلَبِّيـــا   وَصَلْتُهـــا مُحَيِّيـــا

كَـذا هَـــداني المُصْطَفىٰ   بِنُـورِهِ الكُـــلُّ احْتَفىٰ

هٰــذي حُقُـــوقُ المُسْلِمِ   فِيْهــــا عَظِيمُ المَغْنَمِ

❋ ❋ ❋

صدر حديثاً عن

دَارُالهُدَىٰ لِلنّشر وَالتّوزيع

لأحبّتنا الناشئة :

السلسلة القصصية :

حِكاياتُ ذاتُ عِبَرٍ




حق المسلم على المسلم
٣
وإذا استنصحك فانصح له
محمد موفق سليمة
دار الهدى
دار الهدى للنشر والتوزيع





الرياض: طريق صلاح الدين الأيوبي - غرب إدارة مكافحة المخدرات
هاتف: ٤٧٩٤٥١٧ - ٤٧٧٧٥٤٤ - ناسوخ: ٤٧٧٦١٣٩
ص.ب: ٢٥٥٩٠ - الرياض: ١١٤٧٦

الاِسْتِعْدادُ واجِبٌ

...مَوْعِدُ الاِمْتِحانِ تَقْتَرِبُ أَيّامُهُ ، وَصُفوفُ المَدْرَسَةِ تَسْتَعِدُّ لِتَظْهَرَ أَكْثَرَ جِـدِّيَّةً ، فَكُلُّ مقْعَدٍ خُصِّصَ لِفَتاةٍ مِنْ فَتَياتِ الشَّهادَةِ المتَوَسِّطةِ الموْجُودات في مَدْرَسَتِنا .

هُناكَ جَمْعٌ مِنَ الطّـالِباتِ المحْتَشِداتِ أَمـامَ لائِحَةِ الإِعْلاناتِ والبَيانـاتِ ، وَكُلُّ طالِبَةٍ تُمسِكُ بِقَلَمٍ وَوَرَقَةٍ لِتَكْتُبَ مَوْعِـدَ امْتِحانِ كُلِّ مـادَّةٍ ، وَلِتَتَعَرَّفَ علىٰ رَقَمِ مَكانِها الذي أُعِدَّ لها .

ورُحْتُ بِـدَوْري أَبْحَثُ عَنْ مَكـاني حَتّـىٰ أَسْتَـدِلَّ عَلَيْهِ، فَلا أَقَعُ في حَيْرَةٍ يومَ الامْتِحانِ .

وَيا لَحُسْنِ المصادَفةِ .. جارَتُنا هَيْفاءُ التي أُرافِقُها في طَرِيـقِ المدْرَسَةِ جِيئَـةً وذَهاباً كـانَتْ جـارَتي في مقعدِ الامْتِحـانِ ، وَلَعَلَّ اللهَ اسْتَجابَ هَمَسـاتٍ صادِقَـةً مِنَ القَلْبَيْنِ .

اَلْمُؤْمِنُ سِرُّ أَخِيهِ

.. اِبْتَسَمْتُ في وَجْهِها ابْتِسامَـةَ الرِّضا ، وَهَمَسْتُ في أُذُنِها قـائلـةً : أَنْتِ جـارَتي ورَفيقَتي هُنـا أَيْضـاً ، وَلَنْ يُفَـرِّقَ اللهُ بَيْنَ قَلْبَيْنِ مُتَجـاوِرَيْنِ ، وَأَنْتِ أَحَـقُّ مَنْ أُصاحِبُهـا يا هَيْفـاءُ وإِنَّكِ لنِعْمَ الـ . . . لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُتِمَّ كلامي وثَنائي ، فقَدِ ارْتَسمَ علىٰ وَجْهِ هِيْفاءَ طَرَفٌ مِنْ سَحـابَـةِ حُـزْنٍ وَغَمٍّ ، وأَطْـرَقَتْ وَجْهَهـا أَرْضـاً ، وَكـادَتْ تُمسِكُ عَبْرةً أَرادَتِ السُّقـوطَ مِنْ عَيْنَيْهـا .. عِنْدَها أَدْرَكْتُ أَنَّ في الأَمْـرِ سِرّاً .. وأَنَّ ما تُخْفِيهِ هَيْفاءُ عَنِّي يَعْصِرُ قَلْبَهـا حُزْنـاً وأَسى.. وَعَتِبْتُ علىٰ نَفْسي ، فكَيْفَ لَمْ أُخَفِّفْ عَنْها ، وأَسْتَخْلِصْ مِنْها ما تَكْتُمُهُ ؟! لا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ شَيءٍ يَسيرٍ .. هَيّـا يا هَيْفاءُ ، صَدْري يَتّسِعُ لِلْحَـديثِ عَمّا يُؤْلِمُكِ، وأَنـا ما زِلْتُ صـاحِبَتَكِ التي تَسْكُنينَ إِليْها وَتأْنَسينَ للبَوْحِ لَها . .

كَالْجَسَدِ الواحِدِ

.. أمسَكْتُ بِيَدِها ، وَسِرْنا في المَمَرِّ الأَرْضِيِّ مُتَّجِهَتَيْنِ نحوَ بابِ المَدْرَسةِ ، فَمَوْعِدُ الانْصرافِ قَدْ آنَ ، وَلَعَلَّ خُطُواتِنا في طَرِيقِ العَوْدَةِ إلىٰ البَيْتِ تَسْمَحُ لَها أَنْ تَتَحَدَّثَ بِما تَشاءُ ، وَلَنْ أَضِنَّ عَلَيْها بِسَمْعي وَإِصْغائي واهْتِمامي بكُلِّ حَرْفٍ سَتَنْطِقُ بِهِ ، فَلا أُحِبُّ أَنْ أَراها حَزِينَةً ، ولا أُحِبُّ أَنْ أَرىٰ دُمُوعَها تَنْهَمِرُ حاكِيَةً لي هُمُوماً مُتَراكِمَةً في صَدْرِها ..

الطَّرِيقُ هُوَ نَفْسُهُ ، لٰكِنّ كُلَّ زاوِيَةٍ مِنْهُ ، وكُلَّ شُجَيْرَةٍ علىٰ رَصيفِهِ كانَتْ تَبْدو لي حَزِينَةً مَعَ خُطُواتِ صاحِبَتي.. حاوِلي يا هَيْفاءُ أَنْ تَبْدَئي الحَدِيْثَ ، فَلَمْ أَعُدْ أُطِيقُ صَبْراً عَلىٰ صَمْتِكِ .. وكُلُّ ثانيةٍ تَمُرُّ عَليَّ كَأَنَّها ساعاتٌ طَوِيلَةٌ.

أُخْدُمْ نَفْسَكَ

.. الدُّمُوعُ ما زالَتْ في عَيْنَيْهـا عِنْدَما أَخَذَتْ في طَرْحِ ما يَخْتَلِجُ في نَفْسِها قائِلَةً : بَيْتُنا هُوَ الْمُشْكِلَةُ يـا أُخْتـاهُ .. فَأَنـا البِنْتُ الـوَحِيـدَةُ كَما تَعْلَمِينَ ، أَخْدُمُ كُلَّ مَنْ في المَنْزِلِ ، فـالصِّبْيَةُ لا يُحْسِنونَ إلا اللَّعِبَ والصُّراخَ وإصْدارَ الأَوامِرِ .. وكُلُّ الأَعْباءِ تَنْهـالُ عَلَيَّ غَضَبـاً إِنْ لَمْ أَتَحَمَّلْهـا ، وهـا أَنَـذا كَما تَرَيْنَ بَيْنَ هَمَّيْنِ كَبيرَيْـنِ : الامْتِحانُ والْبَيْتُ .. ولا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُبْـدِيَ هُمُومي إلىٰ والِـدَتي ، فَهِي لا تُقَدِّرُ بِحَقٍّ كُلَّ ما أَقولُهُ لَها .

وكادَتْ هَيْفـاءُ تُجْهِشُ بالْبُكـاءِ لَوْلا أَنْ رَبَطَ اللهُ علىٰ قَلْبِها .. وحَقّاً لَمَسْتُ سَيْلَ الأَوامِرِ التي تَنْهالُ عَلَيْها عِنْـدَما زُرْتُها في المَنْـزِلِ عِدّةَ مَـرّاتٍ .. كُلٌّ يُرِيدُ مِنْ هَيْفاءَ التَّفَرُّغَ لَهُ وَخِدْمَتَهُ وَحْدَهُ .

اللهُ في عَوْنِ الْعَبْدِ

.. كــانَ اللهُ في عَــوْنِها .. إنّها تَتَحَــدَّثُ كَمَنْ يَسْتَصْرِخُ نـاصِحـاً ومُعِينـاً ، وَدينُنا يَـأْمُـرُ بِـأَداءِ النَّصيحَةِ لإِخْوانِنا وَأَخَواتِنا حَتّىٰ وَلَوْ لَمْ نَتَلَقَّ مِنْهُمْ طَلَباً في النُّصْحِ ، فَكَيْفَ إذا كانَ مَنْ يَبُثُّكَ هُمُومَهُ قَـدْ وَقَعَ في حَيْرَةٍ كَبيرَةٍ ، وَطَلَبَ مِنْكَ بِـدُمُـوعِـهِ وَقَلْبِهِ أَنْ تَدُلَّهُ علىٰ طَرِيقٍ تُنْقِذُهُ مِمّا وَقَعَ فيه!؟ .

وَوَصَلْنـا إلىٰ بَيْتِ هَيْفاءَ ، فَـدَخَلْتُ مَعَها بَعْـدَ اسْتِئْذانٍ إلىٰ حُجْرَتِها ، وَدَخَلَتْ أُمُّها مُرَحِّبَةً مُحَيِّيَةً ، وَبَشَّتْ في وَجْهي سـائِلَـةً إيّـايَ عَنِ المَدْرَسَـةِ والامْتِحـانـاتِ ، فَاغْتَنَمْتُ الفُـرْصَـةَ ، وَبَـذَلْتُ جُهْـدي في مُحاوَلَـةِ إقْناعِهـا بِفَسْحِ المَجـالِ أَمـامَ هَيْفـاءَ لِتُهَيِّئَ نَفْسَها في الأَيّـامِ القـادِمَـةِ وتُذاكِـرَ المَعْلُوماتِ المَطْلُوبَةَ مِنْها في الامْتِحانِ .

لِلْقولِ اللَّيِّنِ سِحْرُهُ

.. وَإِنْ كـانَ إِقْنـاعُ واحِدةٍ مِنْ أَمْثـالِ أُمِّ هَيْفـاءَ صَعْبـاً ، فَـإِنَّ أُسْلُوبَ الهُدوءِ والاتِّـزانِ والكـلامِ اللَّطيفِ قَـدْ ساعـدَني ـ ولله الحَمـدُ ـ في تَـذْليلِ عَقَبَةٍ كَؤودٍ ..

« أَنا مِثْلُ ابْنَتِكِ يا خـالَةُ ، وَأَنْتِ تَحْمِلِينَ في قَلْبِكِ أَحْلَىٰ مَنْبَعٍ لِلْحَنانِ وَأَعْذَبَهُ .. وَلَنْ تَبْخَلي علىٰ هَيْفاءَ بِمَزيدٍ مِنْ هَذا الحَنـانِ أَيّامَ الامْتِحانِ .. وَلَوْ أَنَّ كُلَّ وَلَدٍ مِنْ أَوْلادِكِ قامَ بِخِدْمَةِ نَفْسِهِ ، لَخَفَّفَ عَنْ هَيْفاءَ كَثِيراً مِنَ الجُهْـدِ الذي كـانَتْ تَبْذُلُـه في خِدْمَتِـهِ .. وَهي تَفْخَـرُ في أَنْ يَكونَ لَها إِخْـوَةٌ تَخْدُمُهُم ، وَتَخْدُمُ ضُيُـوفَهُم ، وَأَنَّ لَها أُمّـاً تُعَلِّمُها مـا يَلْـزَمُ مِنْ أُمـورِ المَنْـزِلِ والعِنايَـةِ بِـهِ ، وَكَثِيراً ما كـانَتْ تُحَدِّثُني عَنْ حُسْنِ عِنايَتِكِ وَتَرْبيتِكِ لَها ».

حُسْنُ الفَهْمِ فَضِيلَةٌ

.. فَهِمَتْ أُمُّ هَيْفاءَ ما كُنْتُ أَقْصِدُهُ مِنْ كَلامي، وَهَزَّتْ بِرَأْسِها مُسْتَجِيبَةً ، وَقالَتْ : « اطْمَئِنّي يا بِنْتي ، وَلْتَطْمَئِنَّ هَيْفاءُ حَبِيبَتُنا ، واطْمِئْنانُها أَيّامَ الدِّراسَةِ الجادَّةِ قُبَيْلَ الامْتِحانِ مِنْ حَقِّها .. وَأَشْكُرُكِ عَلىٰ حُسْنِ صَنِيعِكِ إِذْ نَبَّهْتِني لِهٰذا وَقَدْ كِدْتُ أَسْهُو عَنْ تَأْمِينِ ما يَلْزَمُ لِهَيْفاءَ ، وَأَنْتِ تَعْلَمِينَ أَنَّ هَيْفاءَ شَدِيدَةُ الحَياءِ تَسْتَحْيي أَنْ تَذْكُرَ لي ما يُطَيِّبُ خاطِرَها ».

... وفي هَذِهِ الأَثْناءِ كانَتْ هَيْفاءُ تُعِدُّ فِنْجاناً مِنَ القَهْوَةِ لِتُقَدِّمَهُ لي ، وَلَمّا أَحْضَرَتْهُ شَكَرْتُها عَلىٰ ضِيافَتِها ، وَطَلَبْتُ مِنْها أَنْ تُعْفِيَ نَفْسَها مِنْ خِدْمَتي إذا ما زُرْتُها أَيّامَ الامْتِحانِ ، ووَعَدْتُها أَنْ أَشْرَبَ كُلَّ ما فاتَني بَعْدَ نَجاحِها إِنْ شاءَ اللهُ .

نِعِدُّ للامْتِحانِ عُدَّتَهُ

.. أَجْلَسَتْها أُمُّها إِلىٰ جانِبِها ، وَطَبَعَتْ علىٰ رَأْسِها قُبلَةً حانِيَةً ، وَرَبَتَتْ علىٰ كَتِفِها ، وقالتْ مُثْنِيَةً عَلَيْها :

هَيْفاءُ مِنَ المُتَفَوِّقاتِ دَوْماً ، وَسَتُتْحِفُنا أَيْضاً هٰذِهِ السَّنَةَ بِتَفَوّقٍ مُبارَكٍ بِعَوْنِ اللهِ ، وَأَنا سَأَكْفِيها كُلَّ ما كانَتْ تؤمِّنُهُ لَنا مِنْ خَدَماتٍ في البَيْتِ .

نَظَرَتْ هَيْفاءُ إِليَّ نَظْرَةَ الشُّكْرِ ، وابْتَسَمَتْ في وَجْهِ أُمِّها مُسْتَبْشِرَةً ، وَعَرَفَتْ أَنَّ أُسْلُوبَ النُّصْحِ اللَّطيفِ يَفْعلُ أَثَرَهُ في النّفوسِ كالسِّحْرِ تَماماً .. وقَبْلَ أَنْ تَقُومَ أُمُّها لِبَعْضِ شَأنِها اسْتَأْذَنْتُ مِنْها أَنْ تَسْمَحَ لي بالمجيءِ إلىٰ هَيْفاءَ كُلَّ يَوْم بَعْدَ مُشاوَرَةِ والدَيَّ ، حَتّىٰ يَتَسَنّىٰ لَنا حُسْنُ المذاكَرَةِ مَعاً ، وَنَدْخُلَ الامْتِحانَ بِنَفْسٍ راضِيَةٍ .

نَصِيحَةُ المُؤْمِنِ لِلْجَمِيع

.. وفي حُجْرَةِ هَيْفاءَ المُرَتَّبَةِ ، كُنّـا قَدْ رَتَّبْنا جَدْوَلاً صَغِيراً فِيْـهِ اسْمُ كُلِّ مـادَةٍ دِراسِيَّةٍ ، والـزَّمَنُ الـذي خَصَّصْناهُ لِـدِراسَتِها ، وَلَعَلَّ التنْظِيمَ الجَيِّدَ لِـلأُمورِ يُهَوِّنُ علىٰ هَيْفاءَ وَكُلِّ طـالِبَةٍ أَنْ تَدْرُسَ بِـاطْمِئْنانٍ ، وَنَصِيحَتي هٰـذِهِ لَيْسَتْ وَقْفـاً علىٰ صـاحِبَتي ، بَلْ أُقَدِّمُها هَنِيَّةً إلىٰ كُلِّ أُخْتٍ تَسْتَعِدُّ لِما نَسْتَعِدُّ لَهُ ..

وَبَـدَأْنا نَـدْرُسُ كُلَّ يَـوْمٍ سِتَّ ساعـاتٍ نَسْتَرِيحُ قَلِيلاً بَعْـدَ كُلِّ ساعَتَيْنِ .. وَنُلَخِّصُ بَعْدَهـا أَهَمَّ ما قَـرَأْنـاهُ ، وَدِراسَتُنا هٰـذا العـامَ تَسْتَحِقُّ المَزِيْـدَ مِنَ الاهْتِمامِ ، فَنَحْنُ في نِهايَـةِ مَـرْحَلَةٍ دِراسيَّـةٍ أَمْضَيْنـا مَعَها ثَـلاثَ سَنَواتٍ .. ومـا أَحْلَىٰ الفَرْحَـةَ في عَيْنَيْ هَيْفاءَ عِنْدَما كُنْتُ أَدْخُلُ كُلَّ يَوْمٍ عِنْدَ أَذانِ العَصْرِ إلىٰ حُجْرَتِها .. !

وَلِلْجِدِّ حَلاوَتُهُ

.. كُنْتُ أُقَـدِّرُ لَها جَمالَ تَـرْحِيبِهـا ، وأُصَلِّي مَعَهـا صَلاةَ العصْرِ ، لِأَبْدَأَ بَعْدَها الإجـابَةَ عَنْ كُلِّ ما جَمَعَتْهُ مِن اسْتِفْسـاراتٍ جَـدِيـدَةٍ حَـوْلَ بَعْضِ الفِكَـرِ التي تَحْتاجُ إلىٰ مَزِيدٍ مِنَ التَّوْضِيحِ وَالشَّرْحِ ، وَهِي لا تَضِنُّ عَلَيّ إنْ كُنْتُ أنـا مَنْ يَسْـأَلُ عَنْ فِكْـرَةٍ في أَنْ تُجِيبَنِي وتُهْدِيَنِي ما تَعْلَمُهُ حَوْلَها .. وَكَمْ كانَتِ ابْتِسامَتُنا تَرْسِمُ علىٰ ثغْرَيْنا أَسْمَىٰ صُورَةٍ لِلْحَياءِ نَشْكُرُ بِها أُمَّ هَيْفاءَ إذْ تَـدْخُلُ عَلَيْنـا وَهِي تَحْمِلُ كـأْسَيْنِ من شَرابٍ مُنْعِشٍ لَـذِيذِ الطَّعْمِ ، وَأَكْـرِمْ بِكَلِماتِها العَـذْبَةِ إذْ تَقُـولُ : آنَ لِلْحَبِيبَتَيْنِ أَنْ تَـرْتـاحـا قَلِيــلاً ، وَتَـأْخُـذا قِسْطـاً مِنْ الجلوسِ مَعَ أُمِّهِما .. وَما أَحْلاها مِنْ دَقائِق ، تَسْتَفْسِرُ فِيها الأُمُّ عَنْ دِراسَتِنـا وَأَحْوالِنـا ، وَتُحَمِّلُني فِيها أَحْلَىٰ السَّلامِ إلىٰ والِدَتي وَأُسْرَتي.

الدِّينُ النَّصِيحَةُ

.. وَمَرَّتِ الأَيّامُ غَنِيّةً بِـالشُّكْرِ للهِ وَالْحَمْدِ لهُ أَنْ هَيّأَ لَنا ما نَحْتاجُهُ مِنَ الاطْمِئْنانِ والْوَسائِلِ المُفِيدَةِ لِـدِراسَتِنـا ، وَكُنْتُ بَيْنَ الحِينِ والآخَـرِ أَسْمَعُ مِنْ هَيْفـاءَ كَلِماتِ الحَمْـدِ ، وكَـأَنَّ لَها طَعْماً آخَـرَ عَمّا أَعْـرِفُـهُ ، فَهِي تَرَىٰ نَفْسَهـا في أَحْلَىٰ حُلَّـةٍ ، وأَكْبَرِ سَعـادَةٍ ، إِذْ تَخَلَّصَتْ مِنْ حَيْرَةٍ كـادَتْ تُـودي بِصِحَّتِها وَتُثْقِلُ عَلَيْهـا الهُمُومَ .. وَمـا أَخْطَأَتْ إِذِ اسْتَنْصَحَتْ أُخْتـاً لَها بِصَمْتِهـا وَدَمْعَتِهـا ، وَمـا خابَ مَنْ طَلَـبَ النُّصْحَ مِنْ أَخِيهِ ، لِأَنَّـهُ بِذَلِكَ يَسُـدُّ بـابَ اليـأْسِ والقَلَقِ ، وَيَـدْخَـرُ كُلَّ مـا سَيَعْتَرِيـهِ مِنْ أَوْهـامِ الحَيْرَةِ .. والمؤْمِنُ الحقُّ لا يَعْرِفُ اليَـأْسُ إِلىٰ قَلْبِهِ سَبِيلاً ، مـا دامَ يُصاحِبُ إِخْوَةً لَهُ يَنْصَحُونَ لهُ وَيُرِيدُونَ لِحَياتِهِ الخَيْرَ كُلَّهُ .

الحَمْدُ للهِ

.. وَوَدَّعْنا آخِرَ أَيّامِ الامْتِحانِ بِفَـرْحَةٍ تَغْمُرُ الكَوْنَ كُلَّـهُ ، وَقالَتْ لي هَيْفـاءُ وَنَحْنُ في طَرِيقِ العَـوْدَةِ إِلىٰ البَيْتِ : لَنْ أَدَعَـكِ تَـذْهَبِينَ دُونَ أَنْ تَتَنَـــاوَلي أَحْلَىٰ طَعامِ غَـداءٍ عِنْدي ، سَـأُعِدُّهُ لَـكِ بِنَفْسي ، بَعْدَ أَنْ تَرْتاحي قَلِيلاً داخِلَ حُجْرَتي..

وَحـاوَلْتُ أَنْ أَعْتَذِرَ ، وَقَـدَّمْتُ مـا اسْتَطَعْتُ مِنَ الكَـــلامِ والمُبَرِّراتِ فَلَمْ أَتَمَكَّنْ مِنْ إِقْنـاعِهـــا في أَنْ تَتْرُكَني ، وحَتّىٰ لا تَقْلَقَ أُمِّي عَلَيَّ ، أَخْبَرْتُها بِـالأَمْرِ ، واسْتَأْذَنْتُ مِنْها ، فَأَذِنَتْ راضِيَةً .

وَكَمْ كـانَتْ فَرْحَـةُ البَيْتِ كُلِّـهِ عَظِيمَةً ، إِذْ عـادَتْ هَيْفاءُ تَضَعُ عَلىٰ كُلِّ جُـزْءٍ مِنْهُ وَكُلِّ قِطْعَةٍ فِيـهِ لَمَساتِها الرَّقِيقَةَ ، وَها هِي ذي أَرْجاءُ المَنْزِلِ كُلُّها تُنادِيها : أَهْلاً وَسَهْلاً بِالْحَبِيبَةِ .. لَقَدْ طَالَتْ أَيّامُ الشَّوْقِ والانْتِظارِ .

أُنْشُودَةُ:

هَدِيّتي نَصِيحَتي

نَقُولُها صَرِيْحَهْ　　　في دِينِنا النَّصِيحَهْ

نَصِيحَتي لِكُلِّ قَلْبٍ طَيِّبِ
هَدِيّةٌ مِنْ شَرْعِنا المُحَبَّبِ
إنْ مُؤمِنٌ طَلَبَ النّصِيحَةَ آمِلا
أَنْ يَطْمَئِنَّ، فَكُنْ أُخَيَّ الموئِلا
حَقٌّ لَهُ، نُصْحُ الأُخُوَّةِ دائِما
فَبِهِ اهْتَدىٰ ورَأىٰ النَّصيحَةَ سُلَّما
يا رَبِّ بارِكْ في نَصِيحَةِ بَعْضِنا
بَعْضاً، وَأَيِّدْ بِالنَّصِيحَةِ دِينَنا

« قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : الدِّينُ النَّصِيحَة ..

قُلْنا: لِمَنْ يارَسُولَ اللهِ؟ قالَ: للهِ ولِرَسُولِهِ ولِلْمُؤمِنِين».

صدر حديثاً عن

دَارُ الهُدَىٰ لِلنّشرِ وَالتّوزيع

لأحبّتنا الناشئة :



حقُّ المُسلمِ على المُسلمِ

٤

وإذا عطس فحمِد الله فشمِّته

محمد موفق سليمة





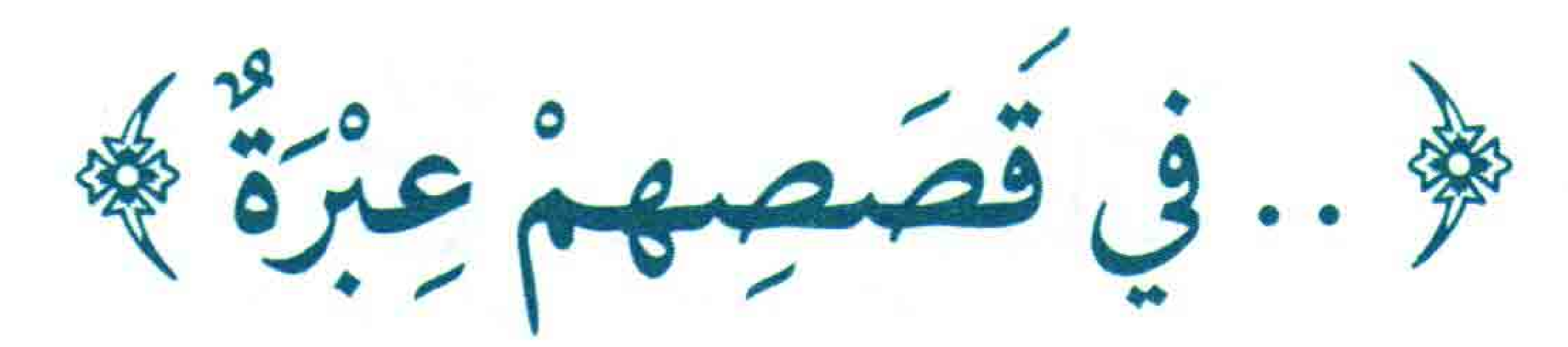


دار الهدى للنشر والتوزيع

الرياض: طريق صلاح الدين الأيوبي - غرب إدارة مكافحة المخدرات
هاتف: ٤٧٩٤٥١٧ - ٤٧٧٧٥٤٤ - ناسوخ: ٤٧٧٦١٣٩
ص ب: ٢٥٥٩٠ - الرياض: ١١٤٧٦

كُلَّ يَوْمٍ حِكايَةٌ

لَمْ تكُنْ جَـدَّتي لِتَرْتـاحَ مِـنْ طَلَبـاتِ إِخْـوَتي الصِّغارِ .. فَفي كُلِّ مَسـاءٍ وَبَعْدَ صَـلاةِ العِشَاءِ ـ كانَتِ الحَلقَةُ تَرْتَسِمُ حَـوْلَ سَرِيرِها ، وكُلٌّ واحدٍ يَطْلُبُ لِنَفْسِـهِ حِكـايةً يحبُّهـا ، يَضَعُ لَها العُنـوانَ المُناسِبَ الذي خَبَّأَهُ أَوْ حَفِظَهُ ، وَيَشْتَدُّ الخِصامُ حَـوْلَ أَيِّ الحِكـايـاتِ سَتَبْـدَأُ لَهُمْ بها ، فَـإِذا مـا ضاقَتْ بِهِمْ ذَرْعـاً تَظاهَـرَتْ أَنَّها تُرِيـدُ النَّوْمَ فَهي مُتْعبَةٌ ، وَعِنْدَها يَصِيحونَ وَبِصَوتٍ واحِدٍ : لا .. لا يا جَـدَّتَنا .. لا تَنـامي .. وَهاتي الحِكـايةَ التي تَرْغَبِينَ ، فَنَحْنُ سَنَسْمَعُ، ونُصْغـي،وَلَنْ نَتَخاصَمَ بَعْدَ الآن. وَيقْتَرِبُ بَعْضُنا مِنَ السَّريرِ حَتّى ليَكادُ يَلْتصِقُ بهِ، أَمّا أَخي الأَصْغَرُ فلا يَحْلُو له الاسْتِماعُ إلا إِذا قَفَزَ وَجَلَسَ في حضْنِ جَدَّتِه مُفْتَخِراً ..



.. واخْتارَتِ الجَدَّةُ حِكايةَ الغُلامِ المُؤمنِ الذي كان سَبَباً في هِدايةِ قَومِهِ وَحُصولِهِمْ علىٰ الشَّهادةِ بَعْدَ مَقْتلِهِ، وَأَحَبَّتْ في نِهايةِ الحِكايةِ أَنْ نُرَدِّدَ معَها مَزيـداً مِنَ الآياتِ عَنِ القوم الـذينَ تَحَمَّلوا أَذىٰ حاكِمِهِمُ الكافرِ ، حَيْثُ أَحْرَقَهُمْ في نارِ الأُخْدودِ:

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾

لَقَدْ كانَ صَوْتُها عَذْباً على الرّغْمِ مِنْ كِبَرِ سِنِّها ، وكان مِمّـا يُضْحِكُنا أَنّها لا تَحْكي ولا تَقْـرَأُ إلاّ بَعْدَ أَنْ تَضعَ بَديلَ الأَسْنانِ في فَمِها ، فَإِنْ خَبَّأَهُ أَحَدُنا حُرِمْنا مِنَ الحِكايَةِ ..

اللَّهُمَّ أَطِلْ عُمُرَها

وَدَّعْنا جَدَّتَنا بَعْدَ نِهايةِ الحِكايَةِ ، وَحَمَلْتُ أَخي مِنْ حضْنِها حَيْثُ يَغْلِبُني بِنُعاسِهِ وَنَوْمِهِ حَتّى يَحْظى بِالحَمْلِ والدَّلالِ ، وَمَضَيْتُ بِهِ إِلىٰ سَريرِهِ المُخَصَّصِ لَهُ قُربَ سَريري ، وَلَمْ أَنْسَ أَنْ أَضَعَ لِجَدَّتي قَبْلَ مُغادَرَتِنا غُرْفَتَها كُوباً مِنَ الماءِ قُربَ وِسادَتِها ، والسّاعَةَ العجوزَ علىٰ طاولةٍ بِالقُرْبِ مِنْ خِزانَتِها ..

ما أَحْلىٰ النَّوْمَ بَعْدَ ساعَةٍ كامِلَةٍ مِنَ الحِكاياتِ الجَميلَةِ والمُفيدَةِ !، ويالَيْتَ كُلَّ الجَدّاتِ مِثْلُ جَدَّتي ... إِذاً لَنبَتَ الْحَفَدَةُ كَأَحْسَنِ ما يَكُونونَ عَلَيْهِ مِنَ التَّقْوىٰ والصّلاحِ ، ناهيكَ عَنْ سُرورِهِمْ بِثَرْوَتِها الهائِلَةِ مِنَ القِصَصِ .. اللهمَّ بارِكْ لنا في جَدَّتي ، وأَطِلْ عُمُرَها ، وَأَكْثِرْ لنا حِكاياتِها ، إِنَّكَ سَميعٌ مُجيبٌ .

اَلْمُسامِحُ كَرِيمٌ

.. وفي الصَّباحِ ، اسْتَيْقَظْتُ علىٰ صَوْتِها وهي تَتَوَعَّدُ وَتَصْرُخُ ، وَتُمْطِرُني بِوابِلٍ مِنْ غَضَبِها دونَ أَنْ أَدْري لِذَلِكَ سَبَباً !!

فَغادَرْتُ سَريري مُسْرِعاً نَحْوَ غُرْفَتِها ، فَإِذا بِها عِنْدَ البابِ تَتّكِئُ علىٰ عُكّازِها قائِلَةً : كَيْفَ حَدَثَ هذا ؟ كَيْفَ ؟!. وَما إِن رَأَتْني حَتّىٰ خُيِّلَ إِليَّ أَنَّ الدُّنْيا سَتُطبِقُ عَلَيَّ بِضَرَباتٍ مِنْ عُكّازِها !! .

اِقْتَرَبْتُ مِنْها عَلَىٰ حَذَرٍ ، وسُرْعانَ ما هَدَأَ غَضَبُها ، وَنَظَرَتْ إِلىٰ وَجْهي نَظْرَةَ عِتابٍ حانِيَةٍ ، وَأَشارَتْ إِلىٰ النّافِذَةِ بِعَصاها ، فَفَهِمْتُ كُلَّ شَيْءٍ .. سامِحْني يا ربّ .. سامِحِيني ياجَدَّتي ، فَأَنا الّذي قَدْ نَسِيتُ أَنْ أُغْلِقَ النّافِذَةَ المُقابِلَةَ لِسَريرِكِ مِنْ شِدّةِ تأَثّري بِالحِكايَةِ .. المُسامِحُ كَرِيمٌ ، والصَّفْحُ مِنْ شِيَمِ الكِرامِ يا جَدَّتنا الغالِيَةَ ..

البَرْدُ يُؤْذي العَجائِزَ

تَمْتَمَ لِسانُها بِكَلِماتٍ لَمْ أَفْهَمْها ، وَعَـرَفْتُ بَعْدَها أَنَّها تَتَأَلَّمُ مِنْ ضُلُـوعِها وَرَأْسِها ، فَالْبَرْدُ قَـدْ آذاها مَعَ أَنَّ الجَوَّ كانَ مُعْتَدِلاً ، وَلَيـالي أَواخِرِ نَيْسانَ لا تحْمِلُ إِلا نَسَماتٍ حُلْوَةً رَبيعِيَّةً .. وَكَيْفَ لَوْ كانَتْ تَلْعَبُ مَعي قَبْلَ ثَـلاثَةِ شُهورٍ بِكُـراتِ الثَّلْجِ عَلىٰ سَطْحِ مَنْزِلِنا ؟ كُنْتُ أَشْعُرُ عِنْدَها بِالدِّفْءِ يَسْري في دَمي وَيَسْكُنُ جَـوانِحي ، وَبِـالعَـرَقِ يَتَصَبَّبُ مِنّي، أَمّا جَدَّتي ، فَكُلُّ نَسْمَةٍ عَليلَةٍ تُداعِبُها تَراها صَفْعَةً قَوِيَّةً مِنَ البَرْدِ .. وَغَريـبٌ أَمْرُها .. فالذي يَراها تَتَلَفَّعُ بِغِطاءٍ حَوْلَ رَأْسِها لَيْلَ نَهارَ ، وَتَتَغَطّىٰ بِشَراشِفَ ثَلاثَةٍ دَفْعَـةً واحدَةً ، وَتَضَعُ كيسَ الماءِ السّاخِنِ في فِراشِها كُلَّ لَيْلَةٍ ، لا يَشُكُّ في أَنَّ البَرْدَ يَهْرُبُ مِنْها مَسافَةً بَعيدَةً. وَمَعَ ذلكَ فَقَدْ أُصيبَتْ.

صورَةٌ ناطِقَةٌ بالمرَضِ

.. وَما هي إلا دَقائِقُ ، حَتّىٰ كـانَتْ جَدَّتي قَدْ رَبَطَتْ حَوْلَ الجَبِينِ وَأَعلىٰ الرَّأْسِ رِباطـاً أَبْيَضَ أَعَدَّتْهُ لِمِثْلِ هَذِهِ المْناسَبَـةِ ، وَأَخَذَتْ أَوامِـرُها لأَفْـرادِ الأُسْرَةِ تَتَوالىٰ ، كَمَنْ يُـرِيـدُ أَنْ يُعْلِنَ لِلْكَـوْنِ كُلِّـهِ أَنَّـهُ قَـدْ وَقَعَ أَسِيرَ المَرَضِ القاسي، وَأَيُّ أَسْرٍ ؟!

« أَنْتِ يـا أُمَّ الأَوْلادِ جَـدِّدي لي مـاءَ الكِيسِ ؛ أُرِيـدُهُ ساخِناً ، وَأُرِيدُ مَعَهُ كَـأْساً مِنَ النَّعْناعِ لَعَلّي أَهْدَأَ وَيَشْفىٰ صَدْري ، وَأَنْتَ يا وَلَـدي حاوِلْ أَنْ تَجْلِبَ لي مَعَكَ شَيْئاً مِنَ اللَّيْمونِ الذي يَصْلُحُ لِلْعَصِيرِ ، ولا تَنْسَ أَنْ تَمُرَّ عَلَى الصَّيْدَلِيَّةِ لِشِراءِ قَلِيلٍ مِنْ حُبوبٍ تُخَفِّفُ آلامَ الرُّكَبِ ..

وَيا هِنْـدُ ، تَعالَيْ سـاعِديني حَتّىٰ أَتَـوَضّأَ ، ولا تَجْلِبي قِطّتَكِ ثـانِيَـةً إلىٰ غُرْفَتي ، فَقَـدْ شَبِعْتُ مِنْ مُضـايَقَتِهـا اللَّيْلَةَ المَاضِيَةَ .. »

أَحْلىٰ وَسِيلَةٍ مُعِينَةٍ

اِغْتَنَمْتُ فُرْصَةَ انْشِغالِها بِالأَوامِرِ، وَهَيَّأْتُ نَفْسي لِلذَّهابِ إِلىٰ المَدْرَسَةِ ، وَغـادَرْتُ المنْزِلَ وَأَنا أُفَكِّرُ فِيما سَيَـؤُولُ إِلَيْهِ أَمْـرُ جَدَّتي فِيْما لَـوْ أَصابَها حَقّـاً مَرَضٌ شَدِيدُ الوَطْءِ صَعْبُ الاحْتِمالِ ؟

إِنَّها لَنْ تُطِيقَ أَبَـداً مَرَضـاً واحِداً مِنَ الأَمْـراضِ التي أَدْرُسُ عَنْها في مادَّةِ العُلُـومِ ، فاللَّهمَّ كُنْ لها خَيْرَ مُعِينٍ ، وَساعِدْها أَنْ تَغْفِرَ لي ذَنْبي وَخَطِيئَتي.

وَمِنْ طَرِيفِ المُصـادَفَةِ أَنَّ المُعَلِّمَ هذا اليَـوْمَ قَدْ شَرَحَ لنا قُدْرَةَ الأَجْسامِ عَلىٰ المقاوَمَةِ ، وَضَحِكْتُ في نَفْسي ، وَتَصَـوَّرْتُ لَـوْ كـانَتْ جَـدَّتي وَسِيلَـةً مُعِينَـةً يَشْرَحُ المُدَرِّسُ عَنْ طَـرِيقِها هَـذِهِ الفِكْـرَةَ إِذَنْ لَكانَ دَرْساً لا يُنْسىٰ وَلا يُمَلُّ .

وَمِنَ الصُّوَرِ ما يُوهِمُ

وقَبْلَ أَنْ أَقْفُلَ عــائِداً إلىٰ المنْــزِلِ ، حَمَلْتُ لجدَّتي عُلْبَةَ حَلْواها المفَضَّلَةَ مِنَ البائِعِ المُجاورِ لِلْمَدْرَسَةِ ، وَلما دَخَلْتُ غُرْفَتَها وَجَدْتُها وقَدْ تَمَدَّدَتْ عَلىٰ السَّريرِ كَمَنْ يَنْتَظِرُ زُوَّاراً عَلِمُوا بِمَـرَضِهِ فهـو عَلىٰ مَوْعِـدٍ مَعَهُمْ .. كُلُّ شَيءٍ في الغُرْفَةِ قَدْ أَخَذَ صُورَةً جَدِيدَةً : إبْـريقُ اللَّيْمــونِ إلىٰ يَمِينِهـا ، وَعَصِيرُ البُرْتُقـالِ إلىٰ يَســارِهـا ، وَعِـدَّةُ عُلَبٍ صَغيرَةٍ لِـلأَدْوِيَـةِ التي لا حَصْرَ لأَسْمائِهـا وَأَلْـوانِها ، وَقَـدْ رُتِّــبَتْ علىٰ هَيْئَـةٍ تُوهِمُ مَنْ يَراها بِأَشْياءَ وَأَشْياءَ ..

حَتّىٰ بَديلُ الأَسْنـانِ والصَّوتُ العَذْبُ قَـدْ غادرا فَمَ الجدَّةِ ، وَكَيْفَ لأُذُنِ الزّائِرِ أَنْ تَعِيَ كلامـاً مُرْتَجِفاً يَضِيعُ أَكْثَرُهُ بَيْنَ سُعـالٍ وَتَــأَوُّهـاتٍ .. وَإِشـاراتٍ وَتَقْطِيباتٍ ..

مِنْديلٌ لِكُلِّ عَطْسَةٍ

.. صاحَتْ بي فَجْأَةً دونَ مُقَدِّماتٍ : « المناديلَ يا وَلَـدي . هاتِ عُلْبَـةَ المنـا.. » لَمْ تكَدْ تُكْمِلُ النِّـداءَ الثانيَ إلا وَأَخَـذَتْها عَطْسَةٌ شَديدةٌ اهتَـزَّ لها السَّريرُ بِمَنْ عَلَيْـهِ وَمَنْ حَوْلَـهُ ، وَسُرْعانَ مـا كُنْتُ أَضَعُ في يَـدِها مِنْـديلَيْنِ نـاعِمَيْنِ . جَـاءَتْها عَطْسَةٌ أُخْـرىٰ ، وانتْـابَتْها اهْتِـزازَةٌ ثـانيةٌ أَشَـدُّ وَقْعـاً، وَأَحْلىٰ إيقاعـاً وَجَرْساً .. وَكُنْـتُ كالحارِسِ الأَمينِ ، والخادِمِ الذي يَفْهَمُ مِنَ الإِشـارَةِ ، أَعُدُّ لها العَطَسـاتِ ، وَأُناوِلُها بَعْـدَ كُلٍّ مِنْهـا أَوْ أَثْناءَهـا مِنْـديـلاً جَديـداً ، فَتُسَرُّ لِبَـداهَتي وَسُرْعَةِ تَنفيـذِ أَوامِـرَ لمّا تُصْـدِرْها بَعْـدُ .. والمُضحِكُ أَنَّها لا تَلْبَثُ أَنْ تَذْكُرَ سِرَّ النّافِذَةِ ، فَتَهُزَّ رَأْسَها يُمْنَةً وَيُسْرَةً كَمَنْ يُعاتِبُ مِنْ جَديدٍ ، فَأَطْبَعَ علىٰ يَدِها قُبْلَةَ اسْتِعْطافٍ واعْتِذارٍ شَدِيْدَيْنِ .

مِنْ أَدَبِ النُّبُوَّةِ

وَلَمَحْتُ في عَيْنَيْهـا دَرْساً لَمْ أَفْهَمْـهُ لأَوَّلِ وَهْلَةٍ ، فَبَعْدَ أَنِ اسْتَراحَتْ مِنْ عِدَّةِ عَطْساتٍ مُتَتالِياتٍ ، نَظَـرَتْ إِلَيَّ وَقـالَتْ: يـا حَبِيبي أَلَمْ تَسْمَعْ جَـدَّتَكَ وهيَ تَعْطِسُ ؟! قُلْتُ : بَلَىٰ يـاجَـدَّتي ، وَكَيْفَ لَمْ أَسْمَعْ عطاسَكِ وأَنا الذي كُنْتُ أُناوِلُكِ المناديلَ أَوَّلاً بأَوَّل !!

وَهُنا قالَتْ مُعاتِبَةً : أَوَ هَكَذا الذي يَسْمَعُ جَدَّتَهُ وَهِيَ تَعْطِسُ ، يُناوِلُها المنديلَ دُوْنَ أَنْ يُشَمِّتَها !؟

والحقُّ يُقالُ : لَمْ أَفْهَمْ كَلِمَتَها الأَخِيرَةَ ، وَلَمْ أُلْقِ لها بالاً مِنْ قَبْلُ ، فَسأَلْتُها : أُشَمِّتُ جَدَّتي ؟! وَكَيْفَ ؟ فأَجابَتْني مُبْتَسِمَةً : إِنَّها تَعالِيمُ رَسُولِنا ﷺ ، حَيْثُ لَمْ يَتْرُكْ أَدَباً جَمِيلاً إِلا وَعَلَّمَنـا إِيّاهُ ، أَتُحِبُّ أَنْ تَتَعَرَّفَ علىٰ هذا الأَدبِ المسَمّىٰ بِالتَّشْمِيتِ ؟

يَرْحَمُكَ اللهُ

وَمِنْ غيرِ تَرَدُّدٍ قُلْتُ : وَمَنْ غَيْري ياجَدَّتي يَتَسابَقُ إلىٰ سَماعِ الدُّرَرِ مِنْ فَمِكِ ؟ أَسْرِعي وَهاتي ما عِنْدَكِ شَفاكِ اللهُ وَعافاكِ ، فَأَنا رَهْنُ أوامِرِكِ وَتَعْليماتِكِ كُلِّها .

وَضَعْتُ لِجَدَّتي وِسادَتَينِ إضافِيَّتَيْنِ خَلْفَ ظَهْرِها، وَناوَلْتُها عُلْبَةَ الحَلْوىٰ لِأَفْتَحَ لَها شَهِيَّةَ الحَديثِ ، فَمَسَحَتْ شَعْري الأَشْقَرَ بِيَدِها ، وَأَخَذَتِ العُلْبَةَ مِنْ يَدي فَرِحةً وهي تَقُولُ : لا عَلَيْكَ ، كُنْتُ سَأَحْكي مِنْ غَيْرِ أَنْ تُكَلِّفَ نَفْسكَ بِمِثْلِ هذا ..

شُكْراً يا وَلَدي ، وَأَبْعَدَ اللهُ عَنْكَ كُلَّ مَكْروهٍ وأذى.. الأَمرُ الذي أُحِبُّ لَكَ مَعْرِفَتهُ أَنَّهُ إذا عَطَسْتُ ثانِيَةً وَسَمِعْتَني أَقولُ : (الحَمْدُ للهِ) بَعْدَ العُطاسِ ، فَقُلْ لي : (يَرْحَمُكِ اللهُ) ، وَأَنا سَأَرُدُّ عَلَيْكَ رَدّاً حُلْواً: (يَهْديكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بالَكُمْ) .

شُكْراً يا جَدَّتي

دَخَلَتْ قِطَّــةُ هِنْـدٍ أَثْنـاءَ الحَدِيـثِ وَدُونَ اسْتِئْـذانٍ أَخَـذَتْ تَتَمسَّـحُ بي مُحَيِّيَـةً ، فَـأَخَـــذْتُها بَيْنَ ذِراعَيَّ ، وَعُدْتُ مُصْغِياً إِلىٰ كلامِ جَدَّتي، وَلَمّا أَعَدْتُ ما سَمِعْتُهُ علىٰ سَمْعِ صاحِبَةِ العُطاسِ وَالفَضْلِ ابْتَسَمَتْ قائِلَةً : المُسْلِمْ لا يَنْسَىٰ هٰـذا أَبَداً يـا بُنَيَّ ، وَلَـوْ أَنَّكَ سَمِعْتَ أَحداً مِنْ رُفَقائِكَ أَوْ مُعَلِّميكَ يَعْطِسُ ، فانْتَظِرْ حَتّىٰ يَحْمَـدَ اللهَ ، ثُمَّ قُلْ لَـهُ : يَرْحَمُكَ اللهُ ، وإِنْ لَمْ يَحْمَـدِ اللهَ فَعَلِّمْهُ بِأُسْلُوبِكَ اللَّطيفِ أَنْ يَقُولَ ذٰلِكَ ، وَأَنْ يُجيبَكَ بَعْدَ تَشْمِيتِكَ لَهُ بِقَوْلِهِ : يَهْدِيكُمُ اللهُ ، ويُصْلِحُ بالَكُمْ.

حاوَلْتُ أَنْ أَجْلِبَ وَلَوْ عَطْسَـةً واحِدَةً إِلىٰ أَنْفي فَلَمْ أُفْلِحْ ، وأَنْقَذَتِ المَوْقِفَ قِطَّتُنـا الحَبِيبَةُ حَيْثُ عَطَسَتْ كَمَنْ أَصابَـهُ شَيْءٌ مِمّا أَصابَ جَـدَّتي وانْتَظَرْنـاها حَتّىٰ تَقُولَ: الحَمْدُ للهِ .. وَلٰكِنْ أَنّى لَها أَنْ تَنْطِقَ بِلِسانِنا!؟

العُطاسُ مِنَ الرَّحْمٰن

رَسُولُنا علَّمَنا وَبالهُدىٰ جَمَّلَنا

إذا سَمِعْنا العاطِسا يخْرِجُ صَوْتاً مُؤْنِسا

وَيَحْمَدُ اللهَ السَّمِيعْ في صورةِ الأَدب الرَّفيعْ

نُشَمِّتُ الأَخَ الحَبِيبْ (يَرْحَمُكَ اللهُ) المُجيبْ

وَإنْ دَعا لِلْقوم هذي حالُهُمْ

(يَهْدِيكمُ اللهُ ويُصْلِحُ بالَكُم)

* * *

قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

إذا عَطَسَ أَحَدُكُمْ ، فَلْيَقُلْ : الحَمْدُ للهِ.

وَلْيَقُلْ لَهُ أَخوهُ أَوْ صاحِبُهُ : يَرْحَمُكَ اللهُ.

فَإذا قالَ لَهُ : يَرْحَمُكَ اللهُ ، فَلْيَقُلْ لَهُ :

(يَهْديكُمُ اللهُ ويُصْلِحُ بالَكُمْ) .


صدر حديثاً عن

دَارُ الهُدَىٰ لِلنّشرِ وَالتّوزيع

لأحبّتنا الناشئة :

السلسلة القصصية :




حق المسلم على المسلم
٥
وإذا مرض فعده
محمد موفق سليمة
دار الهدى
دار الهدى للنشر والتوزيع





دَارُ الهُدَىٰ لِلنَّشرِ وَالتَّوزيع

الرياض: طريق صلاح الدين الأيوبي - غرب إدارة مكافحة المخدرات
هاتف: ٤٧٩٤٥١٧ - ٤٧٧٧٥٤٤ - ناسوخ: ٤٧٧٦١٣٩
ص.ب: ٢٥٥٩٠ - الرياض: ١١٤٧٦

اللَّهُمَّ بِكَ نَسْتَعِينُ

.. لَمْ يَكُنْ خالِـدٌ يُحِسُّ بالأَلَمِ عِنْدمـا كانَ الطَّبِيبُ يُجْري لَـهُ العَمَلِيَّـةَ الجِراحيّـةَ العـاجِلَـةَ ، فَحُقْنَـةُ التّخْـدِيرِ كـانَتْ قَـدْ أَخَـذَتْ مِنْهُ مَـأْخَـذَها ، وَمـا أَصْعَبَ مـا عـاناهُ خِـلالَ خَمْسِ سـاعـاتٍ سَبَقَتْ وُصُولَـهُ إِلىٰ المسْتَشْفَىٰ ، فَطَبِيبُ الحيِّ الـذي حاوَلَ تَهْدِئَتَـهُ في المنْـزِلِ لَمْ يَسْتَطِعْ إِلىٰ ذٰلِكَ سَبِيـلاً ، وَلَمّا اسْتَـدْعَـوْه ثـانِيـةً بَعْـدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ أَصَرَّ عَلىٰ أَنَّ خالِداً بِحاجَةٍ إِلىٰ عَمَلِيَّةٍ سَرِيعَةٍ تَحْتَ إِشْرافِ طَبِيْبِ الجِراحَـةِ في المشْفَىٰ ، فَـالمرَضُ الذي فـاجـأَهُ لَيْسَ مَرَضاً مِنَ الأَمْراضِ التي يُمْكِنُ الصَّبرُ علىٰ آلامِها ، أَوْ تَأْخيرُ عِلاجِهـا ، وَأَنَّىٰ لِلصَّغيرِ خالدٍ أَنْ يَتَحَمّلَ مـا لا يَتَحَمَّلُـهُ ذَوُو الأَجْسـامِ الضَّخْمَـةِ والأَعْمارِ الكَبِيرَةِ ؟ اللهُمَّ كُنْ لَهُ عَوْناً وَأَعِدْه إِلَيْنا سالماً .

لا لَوْمَ علىٰ المحِبِّين

.. السّاعةُ قَدْ غَدَتْ عَقارِبُها تسيرُ بِبُطْءٍ شَديدٍ في نَظَرِ الأَبِ المِسْكينِ والأُمِّ التي رَافَقَتْه إلىٰ كُلِّ زاوِيَةٍ حَمَلَ إلَيْها ابْنَهُ ، وَهاهما ذانِ يَنْتَظِرانِ واجِمَيْنِ خارجَ غُرْفَةِ العَمَليّاتِ، وَلَوْ تَحَرّكا لَكانَتْ دُمُوعُهما تَزْرَعُ الأَرْضَ قَبْلَ خُطُواتِهِما .. وَمَهْما كانَ مِنْهُما فَلا لَوْمَ عَلَيْهِما إذْ لَمْ يُرْزَقا بِمَوْلودٍ آخَرَ طِيلَةَ السَّنَواتِ التي مَضَتْ ، فَخالِدٌ وَحِيدُ أَبَوَيْهِ وَبَعْدَ طُولِ انْتِظارٍ .. الدَّقِيقَةُ تَغْرِسُ في صَدْرَيْهِما ثِقَلَ سَنَةٍ كامِلَةٍ ، فَتَغْدو كَجَبَلٍ يَجْثُمُ دُونَ حَراكٍ ، والمُمَرِّضَةُ التي تَخْرُجُ وَتَدْخُلُ بِأَكْياسِ الدَّمِ قَدْ واجَهَتْها صُعُوبَةٌ كَبِيرَةٌ ، وَلَمْ تَدْرِ كَيْفَ تَتَخَلَّصُ مِنْ أَسْئِلَةِ الأُمِّ وَتَشَبُّثِها بِها..؟

وَما أَكْثَرَ أَسْئِلَةَ الأُمِّ في مَوْقِفٍ صَعْبٍ كَهٰذا ..!

وَمِنَ الصَّمْتِ كَلامٌ

وَعَلَىٰ الـرُّغْمِ مِنْ أَنَّ إِجْـراءَ العَمَلِيّةِ لَمْ يَكُنْ صَعْبـاً عَلىٰ الطَّبيبِ الجَرّاحِ ، إلا أَنَّ حالَةَ خالِدٍ قَبْلَ وُصولِهِ المشْفَىٰ كـــانَتْ لا تُبَشِّرُ بِخَيْرٍ كَبيرٍ ، فَكُـلُّ مَنْ رآهُ أَشْفَقَ عَلَيْهِ مِنْ مِشْرَطِ الطَّبيـبِ ، وَزادَ ذٰلِكَ الوَهْمَ والقَلَقَ أَنَّ صَمْتَ المَمَـرِّضَةِ لَمْ يَكُنْ لِيُفـارِقَ صورَتَها كُلّما مَرَّتْ حامِلَةً بَعْضَ ما يَلْزَمُ أَوْ ما يَطْلُبُهُ الجَرّاحُ .

ولما كـانَـتْ أُمُّ خـالـدٍ تَتّصِـلُ بَيْنَ الحِينِ والآخَـرِ بِـوالِـدتي ، لِـذا كُنْتُ علىٰ عِلْمٍ بِتَطَـوّراتِ العَمَلِيّـةِ وَسَيْرِها . واغْتَنَمْـتُ فُرْصَةَ اضطِـرارِ أُمّي للـذَّهابِ بِبَعْضِ ثِيـابِ خالدٍ مِـنَ المنْزِلِ المُجاورِ ، فَـذَهَبْتُ مَعَهـا مُتَعَلِّقاً بِـأَطْـرافِ جِلْبابِها كَمَنْ يَتَـوَسَّلُ أَنْ لا تَتْرُكهُ بَعِيداً عَنْ صاحِبِهِ .

وَخالِدٌ نِعْمَ الصّاحِبُ والجارُ والأَخُ والْحَبِيبُ .

يا أَكْـرَمَ الأَكْرَمِينَ

وَصَلْنــا إِلىٰ المشْفىٰ قُبَيْلَ أَذانِ الفَجْــرِ بنِصْفِ ساعَــةٍ، وَلِساني لا يَفْترُ يُؤَمِّنُ علىٰ دُعــاءِ والدتي أَنْ يَهَبَ خالِداً مَزِيداً مِــنَ الْعُمُرِ ، وَأَنْ يُنْقِذَهُ مما أَلَمَّ بِهِ ، وَيَرْزُقَهُ الصِّحَّةَ وثَوْبَ العَافِيَةِ .

وَلَعَلَّ دَعْــوَةَ مُحِبٍّ صَغيرٍ مِثْلي تَجِدُ إِلىٰ الاسْتِجابَــةِ الرَّبــانيّةِ مَدْخَلاً علىٰ اسْتِحْيــاءٍ.. اللَّهُمَّ كَما أَكْرَمْتَ أَبَــوَيْهِ وَأُسْرَتَــهُ بِــوِلادَتِهِ فَــأَكْــرِمْ كُلَّ أَهْلِــهِ وَأَكْرِمْــهُ وَجِيرانَــهُ بِــالْحَيــاةِ السَّعيــدَةِ إِنَّكَ أَنْتَ الكَــرِيمُ وَلا كَرِيمَ غَيْرُكَ يا أَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ .

اللَّهُمَّ فَاكْتُبْ لَهُ أَنْ يَلْبَسَ الثّيابَ التي حَمَلناها لَهُ وهُوَ علىٰ فِراشِ السّلامةِ .. إِنَّكَ سَمِيعٌ مُجيبٌ .

اللَّهُمَّ فَــاقْبَلْ دُعــائي لِحَبيبــي خــالِــدٍ ، واجْعَلْــهُ خالِصاً لِوَجْهِكَ الكَرِيْمِ ياربَّ العالمينَ .

يارِبِّ لَكَ الْحَمْدُ

وَأَحسَسْتُ أَمـامَ غُرْفَةِ العَمَليّـاتِ بِشَيءٍ مِنَ الخَوْفِ ، وَتَصَـوَّرْتُ لَوْ كُنْتُ مَكـانَهُ بَيْنَ أَيْـدي الجرّاحينَ ، وَقَطَعَ عَلَيَّ أَحـاسيسي وَتَصَـوُّراتي صَـوْتُ الجرسِ الـذي كـان إيذاناً بِانْتِهاءِ العَمَليّةِ..

خَرَجَ الطَّبيبُ أَوّلاً ، وَعَلىٰ مُحَيّـاهُ بَشائِرُ الخيرِ ، والعَرَقُ يَتَصبَّبُ مِنْ جَبينِهِ ، واقْتَرَبَ مِنَ الأَبِ المسْكينِ ، لكنَّ أُمَّ خـالـدٍ كانَتْ أَسْرَعَ خطـوةً نَحْـوَهُ تَسْـأَلُـهُ بِدُمـوعِهـا ، فأَجابها:

(اِطْمئِنّوا .. الحمْدُ للهِ ، لقَدْ نَجَحَتِ العَمَليّةُ ، وخالِدٌ بِخَيْرٍ .. لكنَّهُ يحتاجُ إلى مَزيدٍ مِنَ الرّاحةِ والهدوءِ) .

وحُمِلَ خالـدٌ علىٰ عَرَبـةٍ مُخصَّصةٍ عَبْرَ الممـرِّ الطّويلِ ، وَأَجْفانُـهُ لا تكادُ تَخْرُجُ عَنْ إطبـاقِها ، وَكَمْ تَمَنَّتْ أُمُّـهُ لَوْ يُسْمَحُ لها بِقُبْلَةٍ واحِدَةٍ أَوْ لمسةٍ حانيةٍ .

الأَذانُ بَلْسَمٌ

سِرْنـا جَميعاً بِخَطـواتٍ لا نَكـادُ نُحِسُّ ما تَحْتَهـا،
وَاتّجهنــا مِنْ حَيْـثُ لا نَشْعُــرُ إِلىٰ غُــرْفَــةٍ صَغِيرةٍ
خُصِّصَتْ لِسَرِيرٍ واحِدٍ . وَلكنْ لَمْ يُسْمَحْ لنا بِخطْوَةٍ
واحِدَةٍ داخِلَها فـاللاّفِتَةُ الحمْراءُ المكتـوبةُ علىٰ بابِها
كانَتْ كافيةً لِكُلِّ ذي عَيْنَيْن :

(عِنايَةٌ مُشَدَّدَةٌ ـ يُرجى عَدمُ الدّخولِ)

وَدَخَلَتْها المُمَـرِضَةُ مَعَ دُعَـاءِ خالِـدٍ وَدُعاءِ أَبَـوَيْه ،
وَنَظَراتٍ مُتَفَرِّقَةٍ مِنْ عُيونٍ مُتْعَبَةٍ ناعِسَةٍ ، والحقُّ أَقولُ:
إِنَّ الـرّاحَةَ لَمْ تَعْرِفْ حَقَّ أَبي خـالِدٍ وَزَوْجَتِـهِ ، فَهُما لَمْ يَناما
دَقيقَةً واحِـدَةً حَتّىٰ هذه السّـاعَةِ ، وَكـانَ أَذانُ الفَجْرِ
بَلْسَماً لَهُما ، يَسْمَحُ بِـدُخــولِ مَزِيــدٍ مِنْ الــرّضــا
والاطْمِئْنـانِ إِلىٰ قَلْبَيْهِما .. والحَمْدُ للهِ علىٰ كُلِّ حـالٍ ،
ونَشْكُـرُهُ أَنْ أَذْهَبَ عَنّا مـا كـانَ الجميعُ يَخْشَوْنَـهُ علىٰ
خالِدٍ .

وَأَنا ابْنُكِ يا أُمّاهُ

قَلْبُ الأُمِّ مـا زالَ يَحْمِلُ الكثيرَ مِنَ التَّسـاؤُلاتِ المُخيفَةِ: أَيَعـودُ وَلَدي كَما كـانَ ؟ وَهَلْ سَيَخْرُجُ مِنَ المَشْفىٰ صَحيحَ الجِسْـمِ أَوْ أَنَّ حـالَتَـهُ سَتَسيرُ إِلىٰ الأَسْوأ ؟ هَلْ .. وَهَلْ..

أَمْسَكْتُ بِطَـرَفِ ذِراعِها وَهي تَمْسَحُ دَمْعَـةً كَبيرَةً فيها الحَمْدُ والشُّكْرُ للهِ .. وَقُلْتُ لها : أَنا وَلَدُكِ أَيْضاً يـا أُمّاهُ ، وَسَـأَلْعَبُ مَعَ خـالِدٍ ثـانيـةً وثالثـةً وَسطَ حَديقَةِ مَنْزِلِكُمْ إِنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ..

وَنَظَـرَتْ إِلَيَّ بِعَيْنَيْهـا المغْـرَوْرِقَتَيْنِ ، وَضَمَّتْني إِلىٰ صَدْرِهـا، وَمَسَحَتْ شَعْري بِكَفِّها قـائِلَةً : كَلِما تُكَ بَلْسَمٌ لِقَلْبي يا حَبيبي ، بارَكَ اللهُ لأَبيكَ وَأُمِّكَ بِكَ ، وَإِنَّكَ لَنِعْمَ الصّـاحبُ والجارُ ، أَسـأَلُ اللهَ أَنْ يُبْعِـدَ عَنْكَ كُلَّ مَكْروهٍ يا وَلَدي، وأَنْ لا يَمَسَّكَ سُوءٌ أَبَداً.

« .. لا شِفاءَ إلا شِفاؤُكَ.. »

وَما أَحْلاهُ مِنْ لِقاءٍ عِنْدَما سُمِحَ بِدُخُولِ الزّائِرينَ، وَسُرْعانَ ما فَتَحْتُ البابَ لخالتـي أُمِّ خالِدٍ وَزَوْجِها اللَّذَيْنِ أَصابَهُما طولُ الانْتِظارِ بِإِرْهاقٍ شَديدٍ ..

وَمَـدَّ خـالِدٌ إِلَيْنـا تَحِيّـةً مِنْ ثَغْـرِهِ الجَميلِ ، كَمَنْ يَعْتَذِرُ عَنِ الجلوسِ أَو النُّهوضِ أَو تَحْريكِ يَدَيْهِ .

والقُبْلَـةُ لَمْ تَنْسَهـا الأُمُّ ، بَـلْ طَبَعَتْهـا علىٰ شَعْـرِهِ السَّبِطِ ، وَأَتْبَعَهـا الأَبُ بِتَهْنِئَـةٍ لخالـدٍ مِنْ عَيْنَيْنِ دامِعَتَيْنِ ..

وَتَـرَكْتُ الفُرْصَـةَ لَهُما لِيَأْخُـذا قِسْطاً أَوْفَـرَ وَأَوْفىٰ مِنَ النَّظَـراتِ إلىٰ ابنِهِما . ذَهَبْتُ أَثْناءَهـا إِلىٰ البَيْتِ لأَعُـودَ حامِلاً تحتَ إِبِطي عُلْبَةً مُزَيَّنَـةٍ أَعْدَدْتُها لمناسبةٍ كَهٰذِهِ، وَكَتَبْتُ عَلَيْهـا بِخَطٍّ جَميـلٍ (اللهُمَّ لا شِفـاءَ إِلا شِفاؤك).

عِيادَةُ المريضِ حقٌّ

.. وما إنْ وَقَعَ بَصَري عَلىٰ خالِدٍ ، حَتّىٰ بَشَّ في وَجْهي، وَلَمْ يَبْخَلْ عَلَيَّ بِابْتِسامَتِهِ التي عَوَّدَنا رُؤْيَتَها علىٰ مُحَيّاهُ ..

(السّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَـرَكاتُـهُ .. الحَمْدُ للهِ علىٰ سلامَتِكُمْ يا خالـدُ ، لَقَدْ سُرِرْنا - واللهِ - بِنَجاحِ العَمَلِيَّةِ الجِراحِيَّـةِ ، وَأَسْـأَلُ اللهُ لَكُمُ الخير كُلَّـهُ ، وَدَوامَ الصِّحَّـةِ والعافِيَةِ) .

ثُمَّ قَدَّمْتُ لَـهُ هَديَّتي مُتَمَنِّيـاً لَهُ الخُروجَ العـاجِلَ بَعْدَ شِفـاءٍ تـامٍّ ، فَشَكـرَ لي بِـأَنْ أَمْسَكَ يَـدي وَحَضَنَهـا إلىٰ صَدْرِهِ..

لَمْ أُحِبَّ أَنْ أُثْقِلَ عَلَيْـهِ في الحَديثِ ، فـالمُدَّةُ المحَـدَّدَةُ للـزّيارةِ كـانَتْ قَدْ أَوْشَكَتْ علىٰ الانْتِهـاءِ ، وَوَعَدْتُـهُ أَنْ أَكونَ أَوَّلَ الزّائرينَ غداً إنْ شاءَ اللهُ ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ بَعْدَ أَنْ ودَّعْتُهُ مُبْتَسِماً .

وَحُسْنُ الضِّيافَةِ مَطْلوبٌ

.. ولما كـانَتْ عِيادةُ المريـضِ واجِباً عليَّ ، لِـذا لَمْ أَتـأَخَّـرْ في اليَوْمِ الثّـاني عَنِ الحُضـورِ ، وَقَـدْ أَنِسَ خالدٌ بِوجودي، وَلَمْ أَعْتَـدْ مُفارقَتَهُ مِنْ قَبْلُ ، وَطَرِيقُ المدْرَسَةِ يَشْهَـدُ لنا بِذٰلِـكَ ، وَساحَةُ الحيِّ وحَـدِيقَةُ البَراعِمِ والمسْجِدُ القَـرِيبُ، كُلُّ هَذِهِ الأَمْكِنَـةِ تَنْطِقُ بأُخُـوَّتِنا ، وَكَثيراً ما كُنْتُ أَزورُهُ وَيَـزورُني ، لِذَلِكَ لَمْ أُطِقْ صَبْراً علىٰ مُفارَقَـةِ هذا الأَخِ الطيِّبِ لِسـاعاتٍ طويلةٍ مُتواصِلةٍ كما حَدَثَ مُنْذُ وَداعي لَهُ أَمْسِ ..

وَبابُ الغُرْفَةِ في المسْتَشْفىٰ حَفِظَ لي سَبْقَ الوصولِ ، فَدَخَلْتُ وَقُمْتُ بِتَرْتيبِ مـا يَلْزَمُ ، وَصَحَّحْتُ وَضْعَ بَعْضِ الـوِسـاداتِ الموجـودَةِ علىٰ السَّريرِ ، وَهَيَّـأْتُ عُلْبَةَ الحَلْوىٰ لِحُسْنِ الضِّيافَةِ والوَداعِ .

اللَّهُمَّ آمين

ومما زادني حُبّاً بِهٰذِهِ المِهْنَةِ الجديـدَةِ ، أَنَّني أَقُومُ بِخِدْمَةِ أَخٍ مَحْبوبٍ مِـنْ طُلّابِ المدْرَسَةِ جَميعِهِمْ ، وَمِـنْ أَعْضاءِ فَريقِ كُـرَةِ القَدَمِ المتـألّقِ في الحيِّ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الحارةِ والجيرانِ والمُحافِظِينَ علىٰ صَـلاةِ الجَماعَةِ في المسْجِـدِ .. وَكانَ كُلُّ زائرٍ يَدْخُلُ ، يُتْحِفُنا بِـدُعاءٍ حَفِظَهُ عَنْ رَسولِ اللهِ صَلّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..

أَمّا أَنـا فَقَدْ كـانَ لِيَ الفَخْرُ في أَنْ طَبَّقْـتُ آدابَ عِيادةِ المريضِ كـامِلَةً ، حَيْثُ وَضَعْتُ يَـدِي اليُمْنىٰ علىٰ رَأْسِ خالِدٍ ، وَدَعَوْتُ : « اللَّهُمَّ رَبَّ النّاسِ ، أَذْهِبِ الـبـأْسَ ، اِشْـفِ، أَنْتَ الشّـافي ، لا شِفاءَ إِلا شِفـاؤُك ، شِفاءً لا يُغـادِرُ سَقَماً » وقال الحاضِرونَ : آمينَ .. وَنـالَ كُلٌّ مِنْهُمْ نَصيبَهُ مِنْ قِطَعِ الحلوىٰ ، ثُمَّ انْصَرَفْنا مُتَمَنّينَ لخالدٍ قِطَعاً مِنَ الحلوىٰ أَحلىٰ وَأَلَذَّ طَعْماً يَأْكُلُها في البيتِ إِنْ شاءَ اللهُ .

الابْتِسامةُ مِفْتاحٌ

واللهُ هو الشّافي ، ولا شِفاءَ إلا شِفاؤُهُ حَقّاً ، والدُّعاءُ أَيْسَرُ السُّبُلِ وَأَقْصَرُها لِتَحْقيقِ هذا الشِّفاءِ ، والحَمْدُ للهِ أَوَّلاً وَأَخِيراً أَنِ اسْتَجابَ دُعاءَ الزّائرينَ ، فها هُوَ ذا خالدٌ قَدْ وُدِّعَ مِنْ قِبَلِ الطَّبيبِ بَعْدَ التِئامِ جُرْحِهِ .. واسْتردادِهِ الصِّحّةَ مَوْفورَةً .. وَنَظَراً لأَنَّ بَيْتَ العَمِّ أَبي خالدٍ هُوَ البيتُ الملاصِقُ لِبَيْتِنا ، فَقَدْ يَسَّرَ اللهُ لي طَريقَ الزِّيارةِ ، وأَراحَني مِنْ بُعْدِ المسْتَشْفىٰ ، وما ادَّخَرْتُ جُهْداً في كُلِّ ما اسْتَطَعْتُ عَمَلَهُ ؛ أَسْتَقْبِلُ الزُّوّارَ ، وَأُساعِدُ أمَّ خالدٍ في صُنْعِ كؤوسِ الشَّرابِ وَوَضْعِ قِطَعِ الثَّلْجِ فِيها ، وَتَذْكيرِ خالدٍ بمَواعيدِ تَناولِ الدَّواءِ..

وَلَمْ أَكُ لأَنْسىٰ ابْتِسامةَ الثّغرِ الجميل كُلّما نَظَرْتُ إلىٰ صاحبي حتّىٰ لَكَأَنَّ الابْتِسامَةَ جُزْءٌ مِنْ جِسْمِهِ وخُلُقِهِ لا تُفارِقُهُ .

الحَمْدُ للهِ

يـاربّ تَمِّمْ بِالْهَنـــا فخـالدٌ يُحِبُّنـا
أَسْبِلْ عَلَيْــهِ نِعْمَتَكْ أَفِضْ إلهي مِنَّتَـكْ
الشّكــــــــرُ لـكْ والحَمْـــــــدُ لَـكْ
مِنْ مَــرَضٍ شَفَيْتَـهُ وصِحَّـةً رَزَقْتَـهُ
عُـدْناه هـذا الحقُّ لـه وواجبٌ سَنُـسْأَلُه

* * *

قالَ رَسولُ اللهِ صلّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم :

« مَنْ عـادَ مَرِيْضـاً لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ ، فَقـالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مــرّاتٍ : أَسْــأَلُ اللهَ العَظِيم رَ بَّ الْعَــرْشِ العَظيمِ أَنْ يَشْفِيـكَ إلا عـــافـــاهُ اللهُ مِـنْ ذٰلِك المَـرَضِ ».

وأُحِبّ في ختام حكايتي عَنْ صديقي خالدٍ أَنْ أَنْقُلَ لكُمْ شكْــرَهُ لي على هَـــديَّتي لأَنّها كـانَتْ سلسلةً قصصيَّـةً مُفيدَةً ، فهـديَّةُ الأفكـارِ أَشْهىٰ وَأَثْمنُ وَأَبْقىٰ مِنْ هديّةِ الأشياءِ..

صدر حديثاً عن

دَارُ الهُدَىٰ لِلنَّشرِ وَالتَّوزِيع

لأحبّتنا البراعم والناشئة :

السلسلة القصصية :

حكايا سعد




حَقُّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ
٦
وَإِذا مَاتَ فَاتْبَعْهُ
محمد موفق سليمة
دار الهدى
دَارُ الهُدَىٰ لِلنَّشْرِ وَالتَّوزِيعِ





دار الهدى للنشر والتوزيع

الرياض: طريق صلاح الدين الأيوبي - غرب إدارة مكافحة المخدرات
هاتف: ٤٧٩٤٥١٧ - ٤٧٧٧٥٤٤ - ناسوخ: ٤٧٧٦١٣٩
ص.ب: ٢٥٥٩٠ - الرياض: ١١٤٧٦

عَمَلُكَ شاهِدٌ علَيْكَ

المحرابُ يَشْهَدُ لَهُ أَنَّـهُ لمْ يتغيَّبْ عنْ إمامَةِ أَهْلِ الحيِّ في المسجِدِ طِيلَةَ ثمانيـةَ عشرَ عاماً .. ولٰكنَّ مـا حـدثَ لمْ يكُنْ في الحسْبانِ ، فصـلاةُ العِشـاءِ الأَخيرةُ التي صلّاها بـالنّاسِ كانَ لَها وقْعٌ صَعْبٌ في نفـوسِ المُصَلِّينَ. والصَّـوتُ الجميلُ الـذي اعْتادَتْهُ أَسماعُنا كانَ يتقطَّعُ علىٰ غيرِ عادةٍ بِلُهاثٍ وأَلَمٍ لمْ يُحاوِلِ الشَّيْخُ إظهـارَهُ .. ومـا إنِ انْتَهَتْ رَكَعاتُ الفـرْضِ الأَربعُ حتّىٰ أحسَّ المُصلُّونَ أنَّ ما أصـابَ إمامَهُمْ أثْنـاءَ الصَّلاةِ لمْ يكنْ عـارِضاً يسيراً ، فالوجْهُ قـدْ مالَ إلىٰ الصُّفْرةِ والشُّحوبِ ، ويَـدُ الشَّيخ كـانـتْ تـرتَفِعُ إلىٰ صـدرِهِ تُحاوِلُ البحثَ عنْ أمـرٍ أدركَـهُ هـوَ وحـدَهُ .. وجـاءَتِ التَّسليمةُ الثّانيةُ فَرَجاً لإمامِنـا يرْتاحُ بعْدَها قليلاً ممّا أَصابَهُ .

ما أَصْعَبَ خبرَ المُصِيبَةِ

والذي جعلَ الجيرانَ لا يلْتَفِتونَ إلىٰ مـا حدثَ التفاتةَ الجادِّ هـوَ أنَّ إمـامَنـا قـدْ تحاملَ علىٰ نفْسِـهِ ، وابتَسمَ ابتِسامَتَـهُ المعْهودَةَ في وجوهِ الّـذينَ حضروا الصَّلاةَ ، وخرجَ منَ المَسْجِدِ لا يُريدُ مِنْ أَحَدٍ أنْ يجْزعَ لِما أَلَمَّ بهِ..

ولمْ يعِ أحـدٌ أنَّ الشَّيخَ قـدْ أُصيْبَ بِمكْروهٍ إلا بعـدَ مَوْعِـدِ صلاةِ الفجـرِ .. فالأذانُ بِصَـوْتِ المؤذِّنِ كانَ يدلُّ علىٰ أنَّ فاجِعَةً قـدْ حدثَتْ عِندَ السَّحَرِ .. ولمّا آنَ الوقتُ لإقامَةِ الصَّلاةِ لمْ يسْتطِعِ المؤذِّنُ أنْ يُخْفيَ الخبرَ عنِ النّـاسِ ، فقدْ أجهشَ بـالبُكـاءِ المُرِّ وهوَ يقـولُ : لِيتقدَّمْ أحدُكمْ ، ولْيُصلِّ بالنّاسِ، فـإِمامُنا قدْ ماتَ ، رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ .

ومـا أَصْعبَ وقْعَ هٰـذا علىٰ الأَسْماعِ ، فكيفَ بِمنْ يقولُهُ !! .



.. ولقدِ اضطُـرَّ المؤذِّنُ أنْ يُعِيدَ الإقامةَ ثـانيةً ، فما حلَّ بالمُصَلِّينَ لمْ يَكنْ سهـلاً ..!! لقدْ صمتوا وارتعـدَتْ أوصالُهُمْ ، وبَقـوا حِيناً مِنَ الـوقتِ لا يعرفـونَ ماذا يتصرَّفـونَ ؟ ومَنْ سيَجْرؤُ أنْ يَضبِطَ انفِعـالاتِهِ ، ويكتُمَ أحـاسيسَهُ وهـوَ يَتقَدَّمُ نحـوَ المِحْرابِ لِيقِفَ ولأَوَّلِ مـرَّةٍ منذُ سنواتٍ طـويلةٍ خلَتْ ، ويأْخذَ مكانَ العالِمِ الكبيرِ أبي إقبال ؟؟! ونطقَ كلُّ حَجَرٍ في المسْجدِ ينْعيهِ قائلاً مَعَنا :

﴿ إنّا للهِ وإنّا إليْهِ راجِعونَ ﴾ .

رَحِمَكَ اللهُ أبـا إقبـالٍ حيّـاً وميتـاً .. إنَّ القلبَ لَيحـزَنُ ، وإنَّ العينَ لَتَـدْمَعُ ، وإنّـا علىٰ فـراقِكَ لَمحزونون ..

نِعْمَتِ السَّكينةُ الصَّلاةُ

وحتّىٰ إقبـالٌ وأولادُ العـالِمِ الباقـونَ ، خـانَتْهُم عـزائمُهُم في التَّقــدُّمِ إلىٰ المحـرابِ الحزينِ علىٰ الرُّغمِ منْ أصواتِهِمُ الخاشِعَـةِ وقِراءتِهم الجيِّدةِ .. ولا أحــدَ يشُكُّ في أنَّهمْ كأبيهِمْ عِلْماً وأخـلاقـاً وأهليَّةً للإمامَةِ ..

كُلُّ ما أدريهِ أنَّ الإقامـةَ قدْ أُعيدَتْ ثانيةً ، وأنَّ العمَّ أبا عُمـرَ قدْ أمَّ النّاسَ والدُّمـوعُ تملأُ عينيهِ ، والأسىٰ يعصِرُ قلْبَـهُ ، ويُفَتِّتُ كَبِـدَهُ .. ولـولا أنَّ الصَّــلاةَ سَكَنٌ للمسلِمينَ وراحـةٌ لهمْ ، لاهْتــزَّ المسجدُ مِنَ البُكـاءِ الشَّديـدِ ، ونِعْمتِ السَّكينةُ الصَّلاةُ ، ولا دواءَ مِثْلُها لِمِثْلِ ما أصابَنا .. ولاحولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ ..

قُرآنٌ يَمْشي

وأشْرقَتِ الشَّمسُ علىٰ الحيِّ خَجلىٰ ، تُقَـدِّمُ خَيْطاً ، وتسْحَبُ آخرَ .. وكيْفَ لَهَا أنْ تُشْرِقَ كعـادَتِها ، وعالِمُ الحيِّ قدْ مـاتَ ؟ وكيفَ لا تحزنُ وكلُّ ما تراهُ بِنـورِها قدْ حَزِنَ علىٰ فِراقِ العالِمِ القارئِ ؟!.

والحقُّ يُقالُ : لمْ يَعْهدِ الحيُّ كلُّهُ مِنَ العالِمِ إلا الخيْرَ ، ولمْ يُحرَمْ أحـدٌ مـن أحلىٰ الكـلامِ يسمَعُـهُ مِنْ فمِ الشَّيخِ.. فكلُّ صغيرٍ ينشأُ معَ أَتْـرابـهِ حـولَ مـائدةِ القُـرْآنِ كُلَّ يـومٍ بعـدَ العصْرِ .. وكلُّ كبيرٍ يحفظُ عنِ الإمامِ خيرَ الفوائدِ الجليلةِ ، والأفكارِ المؤثِّرةِ في أحلىٰ صورِها .. والجميعُ قدْ رأَوا فيهِ إسـلاماً واضِحاً وقُرْآناً يمشي بين النّاسِ ، ولا عَجَبَ إنْ بَكتْ طيورُ المسجِدِ وحمامـاتُ الجيرانِ أيضـاً ، فقـدْ كـانتْ تـزورُ كفَّيـهِ النَّديَّتينِ معَ طلوعِ كلِّ فجـرٍ . وهوَ الكريمُ يداً وعِلْماً وخُلُقاً .

وللمَوْتِ ابتسامَةٌ

.. ودخلْتُ معَ مَنْ دخلـوا إلى بيتِ الإمامِ ، وقـامَ كلٌّ منّا بما يُمْليهِ هٰذا الحَدَثُ ، ونظرَ إلى وجْهِهِ المُنيرِ كلُّ ذي عينَينِ يُلْقي نظـرةَ مُودِّعٍ ، ولا يتَمالَكُ نفسَـهُ منْ دَمْعَتَينِ كبيرَتَينِ يرىٰ الشَّيخَ مِنْ خِـلالِهِما يَتَفجَّرُ وجهُهُ بـالحِكْمةِ والـوَقـارِ .. ويُعلِّمُ النّـاسَ الـذينَ غصَّ بهمُ البيتُ أنَّ الموتَ حقٌّ، واللهُ وحدَهُ هوَ الحيُّ الباقي الذي لا يَموتُ.

وحُمِلَ الجُثْمانُ بعـد التَّغْسيـلِ والتّكفينِ إلىٰ المسْجِـدِ حتّىٰ يُصلّىٰ علىٰ العـالِمِ هنـاكَ .. ومـا أصعَبَهـا مِنْ لَحَظاتٍ !! فـالإمامُ الذي كـانَ يُصلّي بالنّـاسِ صلاةَ الجَنائزِ علىٰ مَنْ مـاتَ مِنْ أهلِ الحيِّ ، قدْ غـدا يحتاجُ إلىٰ إمـامٍ يَـؤُمُّ النّـاسَ لِيُصلّـوا عَلَيْـهِ.. وفي المِحْـرابِ نفْسِهِ..

إنَّها صـورةٌ يبتَسِمُ فيهـا الموتُ ابتسـامـةَ الحكيمِ .. وأيَّةُ ابْتِسامةٍ ؟

أَكْرِمْ بِهِ مِنْ دَليلٍ !

وكادَ ما حدثَ عندَ صلاةِ الفجرِ يتكرَّرُ ثانيةً ، لولا أنَّ اللهَ سُبْحانَهُ أَلْهَمَ إقبـالاً أنْ يتقدَّمَ ، ويُكبِّرَ للصَّلاةِ بعدَ أنْ دلَّ المأْمومينَ بأُسلوبٍ جميلٍ وسهْلٍ علىٰ كيْفيَّةِ صـلاةِ الجنـازةِ ، فعـددُ المُصَلِّينَ كـانَ كبيراً علىٰ غيرِ عـادةٍ ، والـذينَ يُحِبُّونَ عالِمَنـا الفقيدَ قـدْ أَتَوا منْ كلِّ حَـدَبٍ وصَـوْبٍ عنـدَ سماعِهِم الخبرَ .. ولعلَّ بعضَ الصِّغارِ أبَوا إلا أنْ يُصلُّوا علىٰ الرُّغمِ مِنْ أنَّهمْ لمْ يفعلوا ذٰلكَ قبلَ هٰـذهِ المرَّةِ .. وكُنْتُ معَ صِغَـرِ سِنِّي ــ وللهِ الحمدُ ــ أعي ما يقولـُهُ إقبالٌ ، وأقِفُ بِقُـرْبِ والدي حتّىٰ أسمعَ همْسَ قِراءَتِهِ إذا مـا نسيتُ ، وأسترْشِدُ بهِ إذا مـا سَهَـوْتُ أو أخطـأْتُ .. ومـا أخطأتِ العيـونُ عندمـا حَكَمَتْ بِنَظَراتِها أنَّ هٰذهِ الصَّلاةَ لمْ يشْهـدْها المسجدُ من قبلُ حُضوراً وعدداً ..

« كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ »

وقـرأْتُ الفاتِحةَ بعـدَ التَّكبيرةِ الأُولىٰ ، والصَّلـواتِ الإبراهيميَّةَ كامِلَةً بعدَ التَّكبيرةِ الثّانيةِ ، ثُمَّ دَعَوْتُ اللهَ بِما يسَّرَهُ لي بعـدَ التَّكبيرتَينِ الأَخيرتَيْنِ .. ومِمّـا قُلْتُـهُ في الرّابِعَةِ : اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْنا أجرَهُ ولا تَفْتِنّا بَعْـدَهُ ، واغْفِرْ لَنا ولَهُ . وبعْدَهـا سلَّمتُ وسلَّمَ المُصلُّونَ بعدَ تسليمةِ إقبالٍ إمامِنا ، وإنَّهُ لَنِعْمَ الإمامُ لنا والخليفةُ لأبيهِ .

واستعـدَّ الجمْعُ بعـدَها للخـروجِ بِجثمانِ العـالِمِ في جنازةٍ يُكلِّلُهـا الوَقـارُ ، وتَحُفُّها الهَيبَـةُ ، لا شططَ فيها ولا انْحـرافَ عنْ تعـاليمِ العالِمِ الصَّحيحـةِ ووصيَّتـهِ الرّائدَةِ التي أوصىٰ بها أهلَهُ وبنيهِ وقالَ لهُمْ فيها :

(لا تَخْرُجوا عنْ سُنَّـةِ نبيِّنا مُحَمَّـدٍ ﷺ في كلِّ الأُمورِ بعدَ مَوْتي) .

تَشْييعُ الجنازَةِ حقٌّ

وســارَ مَــوْكِبُ الجنــازةِ ، والنَّعْشُ محمــولٌ علىٰ الأَكْتــافِ ، لا بُطءَ في السَّيرِ ولا تــوقُّفَ عنــهُ ، ولمْ يتخلَّفَ عنْ تشْييعِ الجنازةِ مِنْ أهلِ الحيِّ إلا مَنْ كانَ مريضاً أو علىٰ سَفَــرٍ .. وإنْ دلَّ هٰذا علىٰ محبَّةِ الشَّيخِ رَحِمَهُ اللهُ فهٰذا أقلُّ ما يُقالُ ..

ولِمَ لا يُحبُّهُ الجميعُ وقدْ زرعَ في حيِّهِـمْ ونُفوسِهِمْ ثمانيةَ عشرَ عاماً مِنَ الدَّأْبِ والفهمِ والتَّفَقُّهِ وحُسْنِ الخُلُقِ .

وكــانَ كلُّ مَنْ يـرىٰ الجنازةَ مِمَّنْ لا يعـرفُ شَيْخَنـا ، يُسْرِعُ إلىٰ الانضمامِ إلىٰ المُشَيِّعينَ ، إذْ لا يُطيقُ صبراً في البُعدِ عنها لِهَيْبَةِ مَرْآها ..

ورَحِمَ اللهُ امرأً شــاركَ في تشْييعِ جَنازةِ مُسْلِمٍ كأبي إقبال ، وحــقٌّ لأبي إقبالٍ رحِمَهُ اللهُ أنْ يُشَيِّعَهُ مثــلُ هٰذا الحَشْدِ الكبيرِ .

طريقٌ للشَّفاعَةِ

وطُوبىٰ لكَ أبـا إقبال .. فلقـدْ بَشَّرَ النَّبيُّ الكريمُ ﷺ كلَّ مَنْ شـاركَ في جنـازَتِهِ أربعـونَ رجُـلاً بـالشَّفاعـةِ ، فكيفَ بمثلِ جنـازتِكَ التي لمْ يتخلَّفْ عنهـا واحِـدٌ منَ الصِّغارِ أوِ الكِبارِ حتّىٰ لكأنَّ بيـوتَ الحيِّ قدْ خلَتْ منْ ساكِنيها .. !!

قـالَ عليـهِ الصَّـلاةُ والسّـلامُ : « مـا مِنْ رجُلٍ مُسْلِمٍ يموتُ ، فيقومُ علىٰ جنازتِهِ أربعونَ رجُلاً لا يُشْرِكونَ باللهِ شَيْئاً إلا شفَّعَهُمُ اللهُ فيهِ » .

هٰذا الحديثُ واحِدٌ ممّا علَّمْتَنـا مِنْ آدابِ الجنائزِ ، وقدْ ذكرْتَهُ في كثيرٍ منْ دروسِكَ وخُطَبِكَ تُصَوِّرُ لنا جانِباً مِنْ عِظاتِ الموْتِ والسّاعةِ .. وما كُنّا لِننسىٰ خُلُقَكَ الكريمَ إذْ لمْ تكنْ تبْخلُ علىٰ أيَّـةِ جنـازةٍ تُصلّي علىٰ ميِّتِهـا أو تشْهَدُهـا بأنْ تُشيِّعَها وتسيرَ خلْفَها ، وما أكـرمَ هٰذا مِنْ عظيمِ خُلُقٍ !!

للهِ ما أَخَذَ

وهُناكَ عندَ اللَّحدِ المُتَـواضِعِ ، شَهِدَ المُشَيِّعونَ دَفْنَ جثمانِ عالِمِ الحيِّ ، ووقفـوا يدْعـونَ لهُ ائتِماراً بِـوصـايـا رسـولِ اللهِ ﷺ التي سَمِعـوهـا عنْ فقيدِهِمْ: « استغفِروا لأخيكُمْ ، وسَلوا لهُ التَّثْبيتَ، فإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ » .

ومِنْ طَـريفِ مـا صنَعْتُ أنَّنـي كتَبْتُ بعضَ الأدعيَـةِ علىٰ ورقةٍ ، وحمَلْتُهـا معي حتّىٰ لا أكـونَ مِـنَ المُقصِّرينَ في تطبيـقِ مثلِ هٰـــذهِ السُّنَـنِ النَّبويَّـةِ.. ووقفْتُ إلىٰ جانبِ إقبالٍ وإخـوتِهِ علىٰ اسْتِحْياءٍ ، فتقبَّلوا منّي التَّعزيةَ والمواساةَ :

« للهِ تعالى ما أخذَ .. ولهُ ما أعطى .. وكلُّ شيءٍ عندَهُ بأجلٍ مُسمّى ، فلتصْبِروا ولْتَحْتَسِبوا » .

وكُلّنـا يـريدُ قيراطَيْنِ لا قيراطـاً واحـداً .. وكلّ قيراطٍ مثل جبلِ أُحُدٍ أجْراً .. والقيراطان لكلِّ مَنْ صَلّىٰ علىٰ الميِّتِ وشارك في التَّشْييع.

اللَّهُمَّ آمينَ

وقبلَ أنْ أُوَدِّعَ فقيدَنـا وأعودَ معَهُمْ إلىٰ الحيِّ ، وقفْنا معـاً عنـدَ القبرِ قليلاً ، وشجَّعْـتُ لِساني أنْ يقـرأَ مِمّـا كتبْتُهُ ، فاستَحْسنـوا صنيعي ، وردَّدهُ كلٌّ منهُمْ مودِّعاً والِـدَهُ سائلاً لـهُ المغْفِرةَ و الجنَّـةَ : « اللَّهُمَّ اغفرْ لـهُ ، وارحمْهُ ، وعافِـهِ ، واعفُ عنـهُ ، وأكرِمْ نُـزُلَـهُ ، ووسِّعْ مُـدْخَلَـهُ ، واغسلْـهُ بـا لماءِ والثَّلْجِ والبَرَدِ ، ونَقِّـهِ منَ الخطايا كما نَقَّيْتَ الثَّوبَ الأبيضَ منَ الدَّنَسِ ، وأبْدِلْهُ داراً خيراً منْ دارِهِ ، وأهلاً خيراً منْ أهلِهِ ، وزوجاً خيراً منْ زوجِهِ ، وأدْخِلْهُ الجنَّـةَ ، وأعِذْهُ منْ عذابِ القبرِ ، ومنْ عذابِ النّارِ » .

اللَّهُمَّ آمينَ .. إنَّكَ وحدَكَ السَّميعُ المُجيبُ .. أهلُ التَّقوىٰ وأهلُ المغفرَةِ . والحمدُ للهِ ربِّ العالَمين .

المسْلِمُ يحْفظُ ويُطَبِّقُ

حديث رسولِ اللهِ ﷺ

« حقُّ المسلِمِ على المُسْلِمِ ستٌّ :

١ ـ إذا لَقيتَهُ ، فسَلِّمْ عَلَيْهِ ..

٢ ـ وإذا دعاكَ فأجِبْهُ ..

٣ ـ وإذا استنْصَحَكَ ، فانصحْ لهُ ..

٤ ـ وإذا عَطَسَ ، فحمِدَ اللهَ ، فشمِّتْهُ ..

٥ ـ وإذا مرِضَ ، فعُدْهُ ..

٦ ـ وإذا ماتَ ، فاتْبَعْهُ » .

كان رسولُ اللّه ﷺ قرآناً يمشي بين الناس . . فَهُوَ الأُسْوَةُ الصّالحةُ والقُدْوَةُ الخالِدَةُ . . بِأَدبه يتأدَّبُ المؤمنونَ ، ومن عَطاءِ نُبوَّتِه يَنْهلون ، يَتَّبِعونَ خُطواته ، ويَسيْرونَ على هَدْيه ﷺ . . .

ويسرُّ دارُ الهُدى لِلنّشرِ والتّوزيع أن تُقدِّمَ للبراعِمِ المتفتّحةِ حقُّ المُسلم على المُسلم في سلسلةٍ قَصَصيّةٍ بِقَلَمِ الأُستاذ محمد موفق سليمة

آملةً مِنَ المولى تعالى أن يُعينَها على تأديةِ رِسالتها في بِناءِ جيلٍ مؤمنٍ باللّهِ ورسولهِ قولاً وفعلاً . .



دار الهدى للنشر والتوزيع

الرياض - طريق صلاح الدين الأيوبي - الملز - غرب إدارة مكافحة المخدرات
هاتف ٤٧٧٧٥٤٤ - ٤٧٩٤٥١٧ - فاكس ٤٧٧٤١٢٣ - ص.ب ٢٥٥٩ - الرياض ١١٤٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ وَالصَّلاةُ والسَّلامُ على نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إلى يَوْمِ الدِّين.... وَبَعْدُ:

فَالسَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

تَمَّ بِعَوْنِ اللهِ ثُمَّ بِمُساعَدَةِ نَفَرٍ مِن الإِخْوَةِ تَصْوِيرُ هذا الكِتابِ ومَجْمُوعَةٍ مِن الكُتُبِ الأُخْرَى, وأَعْرِفُ أَنَّ جَمِيعَ حُقُوقِ هذه الكُتُبِ مَحْفُوظَةٌ, ولكنْ عَزَمْتُ على تَصْوِيرِ هذه الكُتُبِ لِأَنَّها نادِرَةٌ في المكْتَبَاتِ وغَالِيَةٌ جِدًّا والحُصُولُ عَلَيْها صَعْبَةٌ. وأَرْجُو مِنْ نَاشِرِ هذه الكُتُبِ ومَنْ لَه حُقُوقُها أنْ يُسامِحَنِي. واللهَ أَسْأَلُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَإِنَّه غَفُورٌ رَحِيمٌ وعَلِيمٌ بِنِيَّتِي.

وَأَشْكُرُ كُلَّ مَنْ سَاعَدَنِي فِي هذا المشْرُوعِ. جَزَاكَ اللهُ خَيراً, وَأَطْعَمَكَ اللهُ طَيْراً, وَزَوَّجَكَ اللهُ بِكْراً, وَرَزَقَكَ اللهُ جُنْداً......

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

1431هـ



لَا تَنْسَنَا فِيْ الدُّعَاءِ